# شخصيات حيرت العالم

سقراط

فان جوخ

محمد على

ستالين

الأسكندر

نيرون

هتلر

روبسبير

أتاتورك

بيتهوفن

بيكاسو

ناسبوتين

عمرو يوسف

إهداءات ٢٠٠٣
مكتبة معروف
القاهرة

# شخصيات حيرت العالم



عمرو يوسف



مكتبة معروف

الإسكندرية: ٤٨١٠٨٢٨ / ٤٨٤٦١٢٥ فاكس ٤٨٦٠٠٨٩

القاهرة: ٢٦١١٢٢٩ ص.ب ٢٣٠ الإسكندرية

# مقدمة

خلال عشرات القرون التى انصرمت من عمر الزمان حفلت صفحات التاريخ بمئات الأسماء والأحداث التى تستحق الذكر والدراسة والتحليل من أمتع تلك الدراسات وأكثرها إثارة وتشويقاً دراسة شخصيات المشاهير عبر التاريخ ، وقد جعلنا محور دراستنا فى هذا الكتاب حول شخصيات حيرت العالم ، وتتبع هذه الحيرة من عدة مصادر مثل العبقرية الفذة التى فاقت كل الحدود ، العبقرية العسكرية للقائد الإغريقى الإسكندر الأكبر ، الذى فتح معظم أنحاء العالم القديم وكان أعظم ملوك عصره رغم حياته القصيرة حيث توفُى بعد بضع سنوات من بلوغه الثلاثين ، وهولذلك لم يكن قائداً عادياً حقق العديد من الانتصارات وأخضع الممالك والولايات فقط بل كان قائداً عبقرياً

وهناك من الشخصيات ما جعل العالم يتعجب أشد العجب لغرابة تصرفاتها وشذوذ مسلكها ، وخير مثال على هذه الشخصية الامبراطور الرومانى " نيرون" ، الذى تميز بقسوة نادرة ، ويقال إنه قتل خلال فترة حكمه الطويلة عشرات الآلاف من مواطنيه التعساء ، أما أعجب أعماله التى حيرت العالم ومازالت فهى إحراقه لمدينة روما

الخالدة بينما يستمتع بمشـهد الحريق والخراب والدمار ولا يكتفى بذلك بل يقوم بالعـزف على إحدى الآلات الموسيقيـة ويطلق ضحكاته المجنونة !!

ومن الأمثلة البارزة لتلك الشخصيات التى تميزت بالقسوة والنزعة السادية المدمرة شخصية "جـينكيز خان " ، الذى أطلق عليه (سفاح الشعوب) ، نظراً لبشاعة مسلكه وعشقه للقتل والتدمير حتى إنه قتل رسل الـممالك الذين وفـدوا إليه بغية عـقد الصلح معه ، وفى الـعصر الحديث توجـد نسخة مكررة من شـخصية " جنيكيـز خان" ، وهو الزعـيم الألمانى الراحل " أودلف هتلر " ، الذى قـاد بجنونه ونزعته العنصرية المتطرفة بلاده والعالم أجمع إلى الدمار والخراب فى خلال واحدة من أشد الحروب دماراً فى التاريخ وهى الحرب العالمية الثانية والتى عانت من ويلاتها كل دول العالم .

وتحفل سـجلات التـاريخ بعشرات الزعـماء والقادة الـذين جعلوا العـالم فى حيـرة نتيجـة تناقض مـسلكهم من النقيض إلى النقـيض وانقلابهم على مبادئهم بصورة عجيـبة مثل الزعيم الفرنسى الثائر " روبسبير " ، الذى قتل خلال سنـة واحدة من حكمه الدموى عشرات الآلاف من أبناء شعـبه رغم أنه كان من أشد أنصـار الحرية وتحرير الإنسان من الظلم !!

ومن الشخصـيات الفريدة التى حيرت العالم نظراً لغـرابة سلوكها وشذوذ تصرفاتها شخصية الرسام الهولندى المبدع " فان جوخ " ،

فـقد بلغ قـمـة الإبداع وتميـرت لوحاته بلمـســة رائعـة من السـحـر والغموض ولكنه أتى فعلاً عجيبا حـقاً .. فقد قطع أذنه بنفسه ليهديها إلى حبيبته .

ومن الفنانين الذين حيـروا العالم أيضاً الموسيـقار الألمانى الخالد "بتهـوفن" ، الذى بلغ قـمة التألق والـنضوج والإبداع بعـد أن أصابه الصمـم وقضى على حاسة السمع لديه نهائياً .

ولم تخل قارتنا الســمراء من تلك الشخـصيات التى حيـرت العالم بين هذه الشخـصيات التى توقـفنا أمامهـا شخصـية مؤسس مـصر الحديـثة "محـمد على باشـا" ، الذى كان مـجرد جندى فى الجـيش التـركى ، ولكنه كان طمـوحاً ذكـيـاً ، ولم يتوقف طمـوحه عند حـد الاستيلاء على عرش مصر فـقط بل جيّش الجيوش وجهز الأساطيل وأعد عـدته لغزو أوربا بعد أن اسـتولى على أجزاء عـديدة من أملاك الدولة العثمانية فى الشرق .

وفى أفريقيـا أيضاً إحدى الشخصيـات التى أثارت عجب العالم بل وأثارت سخريتـه أيضاً وهى شخصية رئيس دولة أفـريقيا الوسطى السابق "بوكاسـا " ، فبالرغم من أن دولته تعد من أفقـر عشر دول فى العـالم ولا تملك إلا القـليل من الموارد الطبـيعـيـة إلا أنه أعلنهـا امبـراطورية ونصب نفـسه امبـراطوراً عليهـا !! وأنفق الملايين وبدد أموال شـعبـه التعس ليـحقق هذا الحلم العـجيب .. حلم امـبراطورية أفريقيا الوسطى ..

أما " راسبوتين " فلنا معه وقفـه طويلة نظراً لما يحيط بشخصيته من غموض ومـا تحفل به حياته من أسرار وأعـاجيب ويكفى أنه كان الآمر الناهى فى البـلاط الروسى فى فتـرة من أهم فترات حـياة تلك الامبراطورية الجبارة .

وقد تناولـنا العديد من القـادة والزعماء والأدباء الفنـانين والخيط الذى يجمع بـين كل هذه الشخصـيات الكثـيرة هو أنها شـخصـيات أثارت حيرة العالم وعجبه فى يوم ما ، بل وربما استمرت هذه الحيرة حتى وقتـنا الراهن ونحن قد شعرنا بالحـيرة أمام هذه الشخـصيات وحاولنا بقدر جهدنا أن نسلط الضوء عليها وأن نبرز النواحى الخفية فيها ، وإنهـا لمتعة حقاً أن نعيش مع هذا العدد من الشـخصيات التى جمـعناها بين دفتى كـتاب واحد وإنـنا نأمل أن تشاركنا أيهـا القارئ الكريم عجبنا وحيرتنا وأن تستمتع بمطالعة سير هؤلاء المشاهير .

*والله ولى التوفيق .*

**عمرو يوسف**

# سقراط

## الوحيد الذى يعرف الحقيقة :

من أكثر الشخصيات التى أثارت الجدل خلال حياتها وبعد وفاتها هى شخصية الفليسوف العظيم "سقراط" ، فخلال حياته أثار العديد من المجادلات والمناقشات الفلسفية وانقسم الأثينيون إلى فريقين أحدهما يؤمن بأفكاره ويتبنى فلسفته ويدافع عنها والفريق الآخر يناصبه العداء ويتهمه بالجنون والمروق ، وعقب وفاته ادعى كثيرون أن "سقراط"، هو شخصية خيالية غير حقيقية وأن مبدعها هو " أفلاطون" ، الذى أحب أستاذه سقراط حباً جماً فألصق به هذه الآراء الفلسفية وهى فى الواقع أراؤه هو ، ولكن المؤكد أن " سقراط " ، كان فيلسوفاً عملاقاً وصاحب مدرسة فريدة فى الفلسفة ، وقد تولد هذا الشك لأنه لم يترك أية مؤلفات خاصة به ولم يكتب شيئاً كغيره من المفكرين والفلاسفة ، وأن كل ما وصلنا نقله عنه تلامذته المخلصون وعلى رأسهم بالطبع الفيلسوف العظيم " افلاطون "، وأيضاً " زينوفون".

من أشهر ما نقل عن " سقراط " ، ماعرف بالمحاورات ، وهى

المناقشات الفلسفية التى دارت بـين الفيلسوفـ وبين تلامذته ، اختاره الشعب فى أثينا كـأحكم الحكماء فى اليونان ، وعندما سـئل عن سر هذا الاختيار قال قولته الخالدة :

( ربما لأننى الرجل الوحـيد الذى يعـرف أنه لا يعرف شـيئـاً على الإطلاق ) .

ويدل هذا القول على مـدى تواضـع الرجل وإنكاره لذاته واعتـرافه بقصور العـقل الإنسانى عن بلوغ درجة الكمال والحكمة مـهما أوتى من علم ومعـرفة ، لقد آمن " سـقراط " ، بأن كل الآثام والخطايا التى يرتكبها الإنسـان هى وليدة الجهل ، وأن سعى الإنسـان الأكبر يجب أن يكون من أجل الوصول إلى درجة طيبـة من المعرفة تجنبه الوقوع فى الخطأ ، ويوجز " سقـراط " ، هذا المعـنى فـى قولـته المأثـورة : ( الفضيلة هى المعرفة) .

**توليد الأفكار :**

ولد " سقـراط " ، لأبوين فقـيرين من عامـة الشعب ، حـيث كان والده نحاتاً يصنع التـماثيل وأمه مولدة ، وقد اتخـذ سقراط من ذلك موضـعاً للتندر حيث قـال : إنه لم يفعل أكثـر من اتباع حرفـة أمه ، ولكن بطريقة مختلفة .. فهو يساعد الآخرين على أن يخرجوا أفكارهم للعـالم من أعمـاق نفوسـهم ، وقد أطلق على هذه الطريقـة منهج " التوليـد" ، فهو بهـذه الطريقة يمارس مـا يمكن أن يطلق عليه عـملية توليد الأفكار

لقد فرض هذا الرجل الذى ولد فى سنة ٤٦٩ق.م تقريباً أفكاره ومنهجه الفلسفى على ملايين المفكرين وأصبح من أعلام الفلسفة الخالدين حتى يومنا هذا رغم كل ما حفلت به شخصيته من تناقضات .

فقد كان " سقراط "، المبشر بالحق والداعى إلى الخير والفضيلة وإعلاء قيم النقاء والجمال أبعد الناس شكلاً عن الجمال ، حيث يصفه معاصروه بانه كان أفطس الأنف غليظ الشفتين جاحظ العينين كثّ اللحية دميم الهيئة ، كما كان شديد التقشف والزهد عفيف النفس ، يرتدى ثوباً رثاً واحداً ويسير حافياً دائماً ولكنه كان شديد الاعتزاز بكرامته مثالاً حياً على التحكم فى زمام النفس والسيطرة على أهوائها فلم يفرط يوماً فى كرامته ولم يقبل هدايا الملوك والأمراء .

وكما ذكرنا فإن من أبرز فضائل " سقراط " ، التواضع الشديد ، كان يعلن دائماً أنه من هواة الفلسفة فقط ، اهتم بعلم الأخلاق وفلسفتها وراح يختبر معتقدات الناس ليتحقق من الأسس التى قامت عليها ، ورغم أن معظم المعاصرين له كانوا مؤمنين بأنه أحكم اليونانيين وأكثرهم معرفةً إلا أنه كان ينكر ذلك دائماً تواضعاً وتأدباً منه ، وراح يخوض العديد من المجادلات ويلقى الأسئلة المعقدة حتى يثبت للجميع جهلهم وضحالة عقولهم .. وكانت هذه المجادلات الشاقة سبباً فى جلب عداوة الكثيرين له واتهامه من قبل الحكام بإثارة شكوك الناس فى آرائهم وعدم تقديم الإجابات الشافية لهم مما يوقعهم فى الحيرة ..

## زوجة الفيلسوف:

من أوئل الذين عانوا من سلاطة لسان زوجاتهم أشد المعاناة " سقراط " الحكيم الذى كانت زوجته "زانتيب" ، امرأة سليطة اللسان كثيرة الشجار ، وكان صبر" سقراط" عليها وتحمله لثوراتها مضرباً للأمثال .. كانت زوجته دائماً ما تعيب عليه إهماله لشئون الأسرة ، وتتهمة بالكسل وانعدام المسئولية ، كما كانت تطلق عليه أبشع الصفات وتعيره بدمامة خلقته ، ولذلك كان الفيلسوف الزاهد يضطر لترك المنزل فى الصباح ليهيم على وجهه طوال اليوم ولا يعود إلا بعد حلول الظلام فى المساء ليتلقى نصيبه من الإهانات والسباب .

ولكن هذا العذاب اليومى الذى كان يلقاه "سقراط" ، لم يزده إلا حكمة وصلابة ، وعندما سئل عن كيفية قضائه وقته طوال اليوم خارج بيته ، بعيداً عن منزله وأولاده قال:

( كنت أذهب إلى معبد من المعابد الصغيرة فى أثينا ، لأجلس فى ركن منه ، أفكر وأتأمل ، فإن مللت الجلوس وحدى خرجت أبحث عن حمام أغتسل فيه ، ثم أبحث بعد ذلك عن الناس لإجلس إليهم وأحدثهم وأستمع إلى ما يقولون ) .

ورغم كل ذلك النقد والتجريح الذى تعرض له من قبل زوجته فإنه كان يعترف بصحة شكواها ويشكر لها حسن تدبيرها للمنزل وتربيتها لأولادها .

**شهيد الفلسفة :**

ذكرنا أن " سقراط " كان مؤمنا بأن العقل لا يعرف إلا أقل القليل ، وأنه كلما ازداد علماً كلما ازداد تواضعاً وشوقاً إلى المزيد من العلم ، ولذلك كان يحتقر كل من يدعى العلم والحكمة ويعتبره أجهل الجاهلين ، وهكذا أصبح هذا الفيلسوف الزاهد المتواضع هو العدو اللدود لعدد كبير من أدعياء الحكمة ، وما كان أكثرهم فى أثينا خلال هذه الحقبة .

كانت وسيلة "سقراط " ، لكشف جهل الآخرين هى توجيه عدد من الأسئلة الصعبة المعقدة إليهم حتى يثير الشكوك بداخلهم ويثبت لهم مدى جهلهم الفاحش ، وكان خطؤه الأكبر أنه لم يقدم إليهم أية إجابات تشفى غليلهم ، ولذلك كانت المناقشات تنتهى دائماً بهزيمة خصومة .

وبهذه الطريقة كثر أعداء "سقراط " وكان بعضهم من كبار السياسيين الذين لم يغفروا له أبداً إظهاره لمدى جهلهم وقلة معرفتهم ، وكان أحد هؤلاء قد تعرض لحرج شديد عقب فشله فى الإجابة على أسئلة "سقراط" ، ووقع فى حيرة بالغة وأردكه الارتباك ، فأصبح هو العدو اللدود لسقراط وصار يجمع حوله عدداً من الحانقين على الفيلسوف الزاهد وأخذ الجميع يحيكون خيوط مؤامرة محكمة للإيقاع به والانتقام منه .

وهذكا تم توجيه تهمتين قاسيتين لسقراط الأولى أنه لايؤمن بآلهة المدينة ويدعو إلى عبادة غيرها من الآلهة .

والثانية : إنه أفسد أخلاق الشباب فى أثينا ، وجرأهم على الاستهانة بالتقاليد والخروج على طاعة أبائهم .

وأمام محكمة علنية مكونة من قضاة من عامة الشعب من غير أصحاب العلم والمعرفة ، رفض التنصل من التهم البشعة الموجهة إليه وهو يعلم جيداً معنى ذلك ، وكان يستطيع أن ينكرها وله من جماهير الشعب سنداً ومعيناً يحميه بعد ذلك .

ورغم أن القضاة عرضوا عليه التبرأ من أفكاره وفلسفته إلا أنه رفض ذلك رفضاً قاطعاً معلناً تمسكه بفلسفته حتى النهاية .. ومن أقواله المأثورة في هذه المحكمة التاريخية :

( لن أمتنع مادمت حياً ومادامت لدى قوة عن الاشتغال بالفلسفة وتعليمها للناس ، وعن وعظ كل من ألقاه على طريقتى الخاصة .. أحب أن تعرفوا أنكم إذا أقدمتم على قتل رجل مثلى أسأتم إلى أنفسكم أكثر من أساءتكم لى ، لأنكم إن قضيتم على لن يتيسر لكم أن تجدوا رجلاً أخر مثلى ).

وقد أثار "سقراط " ، خلال المحكمة غضب القضاة بإصراره على أرائه ورفضه التنازل عنها رفضاً قاطعاً ، كما رفض مناقشة العقوبة التى يرضاها حتى لا يكون فى ذلك اعترافاً ضمنياً بالذنب وهو مالم

يقبله وعى رأيه أنه يجب أن يثاب على أفعاله بدلاً من العقاب الظالم

كما ألح عليه أصدقاؤه ومحبوه وعلى رأسهم تلميذه المخلص أفلاطون أن يقبل بتأدية غرامة مالية ، وسوف يتكفل هو وباقى الأصدقاء بجمع المبلغ ، ولكن فى هذه الأثناء كان باقى القضاة قد انقلبوا على "سقراط" ، وقر قرارهم على الحكم عليه بالإعدام .

واستقر الرأى على أن يتم إعدام " سقراط " ، بواسطة سم " الشوكران" .

وفى اليوم المحدد للتنفيذ وقبيل الغروب تم إعداد كأس السم وسط بكاء عشرات التلاميذ من حول " سقراط "، الذى كان رابط الجأش ثابت الجنان وقال لهم :

( اخرجوا وقولوا إنكم توارون فى التراب جسدى فقط ) .

وعقب تناوله كأس السم بدقائق قليلة توفى "سقراط " فى سنة ٣٩٩ ق.م تقريباً .



# الإسكندر الأكبر

## البطل الأسطورى :

شاب وسيم .. عبقرى .. يعشق الحرب والقتال شهيته مفتوحة دائماً لفتح أراضى جديدة ، يعتقد الكثيرون .. ونحن معهم .. أنه لو قدر له أن يعيش عدة أعوام أكثر من الثلاثة والثلاثين عاماً التى عاشها لكان فاتحاً لجميع أنحاء العالم القديم لا محالة ، بما فى ذلك أوربا الغربية وباقى أجزاء أسيا التى تركها مرغماً بعد تمرد جنوده ..

إنه "الإسكندر الأكبر " أحد عباقرة العسكرية فى التاريخ ، بل إنه يلقب بأعظم مقاتل فى التاريخ ، فلم يعرف طعم الهزيمة قط رغم كثرة ما خاض من معارك هائلة فتح فيها عشرات البلدان ، وكان حريصاً دائماً على أن يكون فى مقدمة قواته ، ولعل عادته تلك رغم خطورتها على حياته إلا أنها دفعت كل رجل من رجاله إلى بذل أقصى جهده حتى يكون جديراً بالقتال فى صفوف هذا المحارب العظ م وبالطبع لم تمر هذه المعارك الطاحنة على " الإسكندر الأكبر" مرّ الكرام فقد أصيب عشرات الاصابات فى مختلف أجزاء جسده ، ولكن أياً منها لم تعقه عن القتال .

إن الحديث عن "الإسكندر الأكبر" . يشبه الى حد كبير الحديث عن أبطال الأساطير مع الفارق العظيم بينهما فالإسكندر شخصية تاريخية واقعية لا جدال فى ذلك ، رغم ما يحيط تاريخه من هالة أسطورية براقة ، وما أضيف إلى أعماله وسيرته مما يعد من قبيل الخيال الذى يقربه من أبطال الأساطير الإغريقية ، ولا عجب فى الأمر فهو إغريقى الأصل ، نشأ فى تلك البلاد صاحبة الأساطير الخالدة التي يعرفها العالم جيداً ، فمن الذى لا يعرف آلهة جبال الأوليمب وزيوس رب الأرباب وهيرا وهرقل وغيرهما ؟.

ولكن لا يستطيع أحد أن ينكر وجود "الإسكندر" ، الذى خلّف آثاراً كثيرة وتماثيل رائعة وسجلت سيرته وغزواته فى العديد من البلدان بلغاتها الأصلية مثل الإغريقية والبابلية والفارسية والهيروغليفية وغيرها من لغات العالم القديم .

ومن أهم النقاط التى أثارت الجدل قديماً ادعاء البعض بأن "الإسكندر الأكبر "، هو نفسه " ذو القرنين" ، الذى ورد ذكره فى القرآن الكريم ، ولكن لا يستطيع أحد أن يجزم بذلك ، وربما كان من أسباب هذا الادعاء العثور على بعض تماثيل "الإسكندر" ، وهو يرتدى خوذة ذات قرنين ، وهو سبب واه كما نرى لايثبت وحده هذا الادعاء الذى لا يعلم إلا الله وحده .

## فتوحات بلا حدود:

إن " الإسكندر الأكبر "، يعتبر بحق واحداً من أعظم شخصيات العالم القديم ، وقد أثار حيرة العالم طوال عشرات القرون للعديد من

الأسباب منها عبقريته الفذة وبطرته الثاقبة التى لم تقتصر على ما حوله فقط بل تعدتها إلى ماوراء الأفق ، ويستحق الإسكندر كل تقديراً واحترام لأجل ذلك ، فقد عاش فى عصر لم يعرف الأقمار الصناعية ولا شبكات الأخبار العملاقة ولاحتى أدنى أنواع الاتصال المتيسرة لنا حالياً ، ورغم ذلك فقد قاد جيوشه لتغزو مختلف بقاع العالم الذى كان يحلم بأن يكون حاكمه الأوحد فيالها من رغبة وياله من طموح !!

فى سنة ٣٣٦ ق.م قتل فيليب المقدونى والد الإسكندر الأكبر" ، عن عمر يناهز السادسة والأربعين فقط ، وكان فيليب قوياً طموحاً فى توسيع حدود مملكته على حساب الدول المجاورة ، وبالفعل نجح فى غزو عدد من الممالك الصغيرة المجاورة وضمها فى مملكته ، وكان يحلم بغزو مملكة الفرس التى كانت أغنى وأكبر امبراطورية فى العالم فى ذلك الوقت ولكنه قتل قبل أن يحقق حلمه

فى هذه الأثناء كان" الإسكندر الأكبر" ، فى نحو العشرين من عمره ، وقد ورث عن أبيه طموحه بل تفوق عليه فى اتساع طموحاته ، فلم يحلم بغزو الامبراطورية الفارسية فقط بل إن أحلامه كانت أكبر من ذلك كثيراً .. بالإضافة إلى الطموح الكبير الذى ورثه " الإسكندر "عن والده " فيليب " ، فقد ورث عنه البراعة العسكرية وموهبة الزعامة والقيادة ، وإن تفوق عليه فى هذا المضمار كثيراً،إن" الإسكندر الأكبر"، يعتبر من الزعماء العظام أصحاب الشخصيات الساحرة المسيطرة التى تمتلك الأفئدة وتسلب العقول .

فقد كان خطيباً بليغاً لديه من قوة الحجج وروعة الأسلوب ما يقنع أصحاب الرؤوس الصلبة فما بالك بالجنود العاديين والأفراد البسطاء من عامة الشعب ؟! ويرجع الفضل فى ذلك إلى الفيلسوف العظيم "أرسطو" ، الذى تولى تثقيف الإسكندر وتعليمه ، وقد غرس فيه أرسطو أيضاً عقيدة تفوق الإغريق على من عداهم من الأجناس الأخرى .

بعد أن تمكن الإسكندر من سحق انتفاضة الشعوب الإغريقية الخاضعة لسلطانه بدأ فى خوض معركته الكبرى بغزو بلاد فارس التى كانت تسيطر على منطقة شاسعة من العالم القديم تمتد من البحر الأبيض إلى بلاد الهند ، وفى هذه الحملة أذهل الإسكندر الجميع !!

فقد أقدم على غزو أقوى امبراطوريات العالم بجيش لم يتجاوز عددُ جنوده أربعة وثلاثين ألف مقاتل فقط ، وكان هذا العدد ضئيلاً جداً فى حملة كهذه ، ولكن الإسكندر قام باختيار كل فرد من جيشه بعناية فائقة كما أحسن تدريب جيوشه وغرس العقيدة القتالية فى نفوسهم ، كما أن الجنود كانوا يرون فى الإسكندر مثلاً أعلى وقائداً ملهماً وبطلاً لا يشق له غبار ، وكانوا على حق فى إيمانهم بعبقرية الإسكندر وشجاعته النادرة ، فقد ذكرنا أنه كان دائماً على رأس جنوده فى أيّة معركة يخوضها غير مبال بما يصيبه من جراح وطعنات وما يحيط به من أخطار هائلة .

ولكن الشجاعه الفائقة والجيوش القوية المدربة والعقيدة القتاليه كل هذه العوامل لا تحقق الانتصار وحدها مالم يكن هناك قائدة ذو نظرة عميقة وعقل مفكر وبراعة منقطعة النظير في إعداد الخطط القتالية ووضعها موضع التنفيذ .

وقد أثبت " الإسكندر الأكبر " ، خلال المعارك التى خاضها فى بلاد فارس أنه حقاً أعظم مقاتل فى التاريخ ، فلم يخسر معركة واحدة فى هذه البلاد على كثرة المعارك التى خاضها .

وبعد أن استولت جيوش الإسكندر على حوالي نصف الامبراطورية الفارسية أرسل إليه امبراطور فارس يعرض عليه الصلح مقابل أن يتنازل له عن نصف الامبراطورية التى قام بفتحها ، ولكن الإسكندر رفض ذلك رفضاً قاطعاً وواصل زحفه حتى تمكن من إخضاع الامبراطورية الفارسية الشاسعة بالكامل ، وكان وقتها فى نحو السادسة والعشرين من عمره فقط !!

## الكفاءة القتالية والإدارية:

لم تقف براعة الإسكندر عند النواحى القتالية والعسكرية والاستراتيجية فقط بل تعدتها إلى النواحى الإدارية ، فبعد أن تمكن الإسكندر من إخضاع الامبراطورية الفارسية بالكامل أخذ ينظم امبراطرريته الشاسعة تنظيماً شاملاً ، وكان يدرك جيداً أن كثرة الفتوحات والانتصارات مع إهمال تنظيم البلاد التى تم فتحها سوف يأتى بنتيجة عكسية تماماً وتضيع كل مكاسبه .

لم تتوقف فتوحات الإسكندر عند غزو بلاد فارس والاستيلاء عليها بل واصل فتوحاته حيث فتح بلاد أفغانستان وضم شرق الهند إلى مملكته الشاسعة ، وكان يتهيأ لضم غرب الهند ولكن جنوده رفضوا الاستمرار فى القتال والتقدم لأبعد من ذلك ، فقد أرهقهم القتال المتواصل لسنوات متتالية ، ولولا ذلك لضم الإسكندر باقى أنحاء قارة آسيا .

وكان الإسكندر قد فتح مصر خلال حملته الكبرى على فارس وضمها إليه بدون قتال ، وقضى بها بعض الوقت وتم تتويجه فرعوناً على البلاد ورسمه الكهنة إلـهاً أيضاً ، وهناك عدد من الرسوم المنقوشه فوق جدران المعابد المصرية تسجل هذه الأحداث الهامة .

وكان الإسكندر قد أعد خططاً لغزو باقى أنحاء العالم القديم مثل غرب البحر المتوسط وروما وغرب أوربا وباقى بلاد الهند ، ولكن وفاته المبكرة قلبت الأمور رأساً على عقب .

**القبر المجهول :**

فى سنة ٣٢٣ق.م وحينما كان " الإسكندر الأكبر "، فى نحو الثالثة والثلاثين من عمره فقط أصيب بالحمى وتوفى بعد ذلك بعشرة أيام وكان فى هذه الأثناء فى بلاد " بابل".

ولما كان الإسكندر لم يستخلف على امبراطوريته من يقوم بأمورها

ويحل محله فإن الامبراطورية الشاسعة تـ ككت واقتسمها قواده العسكريون فيما بينهم ، أما الموضع الذى دفن فيه "الإسكندر" ، فقد اختلف المؤرخون فى تحديده اختلافاً عظيماً ، وجرت مئات المحاولات فى العصر الحديث للعثور على هذا القبر ولكن لم يكتب لأحدها النجاح حتى الآن ، ويميل كثير من علماء الحفريات إلى الاعتقاد بأن الإسكندر قد دفن فى مصر وبصفة خاصة فى مدينة الإسكندرية ، التى شيدها خلال فتحه لمصر ، ولكن الحفريات التى أجريت حتى الآن فى مدينة الأسكندرية لم تؤد للكشف عن القبر المنشود ، ومن يدرى فربما يتم العثور عليه فى يوم ما .. وحتى يجئ هذا اليوم فسيظل " الإسكندر الأكبر " ، لغزاً محيراً للعالم حياً وميتاً !!



# نيـرون

**أشهر الطغاة :**

خلال الصفحـات التالية سوف نتعرض للعـديد من الشخيات التى حيـرت العالم لشذوذ سلوك أصحـابها إلى حد بعـيد عن المألوف أو لطغيانهم واتخاذ قـسوتهم وسوء تصرفاتهم لوناً عجـيباً لم يعرف من قبل ولكن يبقى دائماً على رأس هؤلاء الطغاة وفى طليعتهم طاغية روما الامـبراطور " نيرون" ، الذى يقـترن اسمــه دائما وأبداً بالظلم والطغيان ، ويكفى أنه أقدم على فعل لم يقم به غيره من الطغاة وهو إحراق عاصمتة وأعظم مدن العالم فى ذلك الوقت وهـى مدينة روما ، بل الأعجب من ذلـك أنه كان يستـمتع بمشاهـدة الحريق المروع وهو يغنى ويعزف على قيثارته !!

كانت حـياة " نيرون" ، عـجيبة وأطواره غـريبة ونهاية مـروعة ، وعو يعـتبر مِـثالاً تاريخيـاً على الطغيـان الحاكم وبطش بخصــومة ومنافسيه بلا أدنى رحمة أو شفقة ، فى سعيه المحموم لاعتلاء عرش روما ، استبـاح دماء أقـرب الناس إليه وهى أمــه كما قـتل الوريث الشــرعى للعـرش ، فكانت خـطواته إلى العـرش عـبـر طريق ملـوث

بالدمـاء ، وخـلال سنوات حكـمه الـرهيب أسـال الدمـاء أنهـاراً فى مـملكته ونشر الرعب والفزع بين مواطنيه .

ولكن " نيرون "، رغم ذلك كان جباناً متخاذلاً ضعيفاً اتخذ القسوة والبطش ستاراً يوارى خلفـه نقائصه ، وكانت حيـاة هذا الرجل مليئة بكل أنواع الشذوذ والغرائب ومثالب الحكام ، ولعل أحداً من المؤرخين لم يتعاطف معه على الإطلاق ، فهو بحق شخصية مريضة غير سوية على الإطلاق ، وبالطـبع لم يكن هو وحـده الذى ارتقى عـرش بلاده فوق جثث منافسيه فقد فعل ذلك الكثيرون ولكنه كما ذكرنا قد فاقهم جميعاً فى شذوذه وغرابة أطواره وإحراقـه لعاصمة روما مـما جعله يتربع عـلى قمة الطغـاة والسفـاحين الذين عرفـتهم البـشرية ، أذاق شعبه العذاب والهوان ألواناً كما اخـتص أهله وأصدقاؤه بجانب كبير من هذه القسـوة ، ويكفى للدلالة على ذلك أن نذكـر أن قتل أمه كـما قتل أقرب معاونيه لمجرد خشيته من تهديدهم لسلطانه .

## مجموعة من المتناقضات :

إن النظرة العـامة إلى الامـبـراطور " نيرون "، تؤكـد لنا أن هذا الرجل عـبارة عن مجـموعـة عجـيبة من المـتناقضات ، وأعـجب هذه المتناقضات مانلمسه من تعـارض بين مظهره ومسلكه كان " نيرون " يتمـيز بوجـه طفولى برئ وجسـد بيضـاوى رقيق ، ومـمـا أكد هذا المظهر الطفـولى لنيرون ، وجهـه الذى لم تنبت به أية شعـرة وعيناه الوديعتان ويـداه الناعمتان البضـتان ، يتميـز بحاجبين كثـيفين فوق

عينين زرقاوين وأنف رومانى نبيل ، وشعر كثيف وجسد بدين ، شئ واحد فقط وسط كل هذه المظاهر الطفولية كان يدل على القسوة هو فمه الذى يعبر تماماً عن كل معانى السخرية والقسوة ..

أما سلوكه فهو سلوك سفاح شرس لا يعرف الرحمة ولا يهتز له جفن أمام تأوهات ضحايا وآلامهم التى تذيب الصخر وتفتت القلوب ، ورغم كل ماارتكبه من جرائم يشيب من هولها الولدان ويعجز أعتى المجرمين عن الإتيان بها ، إلا أنه كان جباناً ضعيف الإرادة شارد الذهن زائغ العينين ، والأعجب من ذلك أن " نيرون" ، كان يعشق الموسيقى ويكتب الشعر ويتذوق الفن التشكيلى .

**النبوءة:**

مما يروى فى شأن " نيرون"، أن أمه كانت امرأة تتمتع بذكاء حاد وطموح غير محدود ، لاتتورع عن ارتكاب أية خطيئة فى سبيل تحقيق مآربها ، كان خالها هو الامبراطور " كلوديوس"، وكانت والدة " نيرون"، مصممة على أن يرث ولدها العرش مهما كانت التضحيات ، فراحت تحوم حول " كلوديوس"، حتى نجحت أخيراً فى الإيقاع به وقبل أن يتزوجها رغم تعارض ذلك مع الشرائع السماوية الرومانية أيضاً ويقال إن أحد العرافين المصريين قد تنبأ لها بأن يصبح ابنها امبراطوراً على البلاد ولكنه سوف يقتلها فأجابته قائلة : " ليقتلنى ولكن ليحكم "!!

وهكذا أعلن " نيرون"، ولياً للعهد بفضل سلوك أمه غير

الأخلاقى ، وفى نفس العام حدثت مجموعة من الكوارث الكبرى فى روما مما يعد نذير شؤم .. فقد وقع زلزال كبير دمر العديد من المبانى وقتل الكثيرين ، كما انتشرت المجاعة وفشت الأمراض ..

كانت الخطوة التالية التى اتخذتها أمه لكى تضمن له العرش أن زوجته من ابنة الامبراطور وهو يناهز السادسة عشرة ، بينما كانت زوجته المسكينة لاتتعدى الحادية عشرة ، وهو فى المقام الأول زواج سياسى .

**مؤامرات بلا نهاية :**

ولم تتوقف المؤمرات فقد كان من الضرورى إبعاد الوريث الشرعى "برتينيكوس" ابن " كلوديوس" ، عن العرش بأيّة وسيلة ، فراحت والدة "نيرون" ، تتهمه علناً بالسفه والجنون وتسوق عشرات الحجج والبراهين على ذلك حتى تحقق لها ما أرادت ، كما نجحت فى إقناع الامبراطور بتبنى " نيرون" علناً .

وعندما تدخل بعض المحيطين بالامبراطور " كلوديوس"، لكشف ألاعيب أم نيرون وفضح مؤامواتها بدأ الامبراطور يتخذ منها موقفاً عدائياً ، ومالت معاملته لها إلى الجفاء ، ولكن ما أن استشعرت الخطر حتى بادرت بدس السم للامبراطور فقتلته وأعلن " نيرون" امبراطوراً على روما خلفاً للامبراطور "كلوديوس" ، فى سنة ٥٤م كانت الأم تظن أن ابنها الضعيف الشخصية الطفولى المظهر سوف يكون أداة طيعة فى يدها تحركه كيف تشاء ، ولم تدرك ما تضمره

نفس هذا الشـــاب من حقـد وغدر ومـا طبع عليه قلبـه من قـسوة وغلظة لا يشى بها وجهه البريء .

نشب الصـراع بين "نيرون"، وأمـه بسـبب رغبـة كل منهمـا فى فرض سيطرته وتنفيذ إرادته ، وكان هناك عدد من الأمراء يعمل على إشعـال هذا الصراع وخاصـة شقيقـة الامبراطور الراحل الأمـيرة " دومـيسـيا ليـبيـدا" التى كان نـيرون يميل إليـها ولكن الأم الماكـرة استشعرت الخطر واتهمت الأميـرة بمـمارسة السحر ، ونـجحت فى استصدار حكم بإعدامها .

لم يسـتطع "نيرون" أن يفـعل شيـئاً إزاء تعنت والدته وتسلطـها ولكنه أضمر فى نفـسه الشر وراح يتحين الفرصة المناسـبة للتخلص منها .

**البداية والنهاية :**

إن البـداية فى طريق الطغيـان تكون عادة عن طريق نـفاق الرعـية وتملقهم وما يحدثه ذلك من صـدى فى نفس الحكام أصحاب النفوس الضعيفـة والغرور الكاذب ، ويقال إن " نيرون" بدأ حياته مستـقيماً يبدى حـبه وعرفانـه للجماهير التـى أعلنت حبها ومـبايعتـها له ومن أقواله فى هذه الفترة :

( إذا كانت الفـضيلة تمكننى مـن الفوز بإعجـاب العالم وإخـضاع الأمـم والشعوب فلماذا لا أكون فـاضلاً ولماذا لا تكون الفضيلة مثلى الأعلى ؟)

وترجع بلاغة "نيرون"، وبراعته الخطابية إلى تعاليم أستاذه الفيلسوف العظيم " سنيكا" . الذى نجح فى صقل موهبته الخطابية فيه ، ولكن النفاق وحاشيه السوء والتملق المستمر والشعور بأنه السيد المطاع فى هذه الامبراطورية العظمى كل هذا جعله يتحول إلى طاغية مستبد لم يعرف التاريخ له مثيلاً .

لقد أصبح " نيرون" ، يعشق الهتاف ويقال إنه أول من خصص جوقات منظمة ومدربة بعناية مهمتها الهتاف باسمه على أنغام الطبول والموسيقى .

وفى عهده انتشر الفساد فى كل مكان وعمت الرذيلة وتدهورت الأحوال المعيشية إلى حد كبير ، وحتى يصرف الأنظار عن مساوئ عهده وفشل سياساته فإن "نيرون" عمد إلى اضطهاد المسيحيين فى بلاده وأذاقهم ألواناً من العذاب لم تعرفها البشرية من قبل ، ومن ذلك أنه كان يقدمهم طعاماً للوحوش المفترسة فى احتفالات جماهيرية صاخبة .

لم تتوقف مؤامرات "نيرون" لقتل والدته ، فى المرة الأولى تم دس السم فى طعامها ولكنها أفلتت وفى المرة الثانية فشلت محاولة إغراقها وتمكنت من الوصول إلى الشاطئ بمعجزة ، أما فى المرة الثالثة فقد نجح فريق من حرسه الخاص فى قتلها بالسيوف .. وهكذا تخلص " نيرون"، من أمه التى كان يعانى من تسلطها .. ولكنه رغم ذلك عاني مما هو أمر من تسلط أمه .. فقد تسلطت عليه الأفكار السوداء .. فجن جنونه .

كان من الواضح أنه يعانى من القلق الشديد والاضطراب الحاد فى شخصيته ، وكان سلوكه انعكاساً لهذا القلق المدمر ، فراح يقتل عشرات الآلاف من المسيحيين وسط حفلات صاخبة ، كان يشك فى كل من حوله ويخشى على حياته منهم ، ومن هؤلاء مستشاره الخاص "بورروس" ، الذى دسّ له السم وقضى عليه ، كما أجبر الفيلسوف العظيم " سنيكا " على الانتحار ، وقتل أيضاً الوريث الشرعى للعرش .

ولم يقف الأمر هذا الحد فقد طلق "نيرون" زوجته " اوكتافيا" ، التى كان زواجه منها وسيلة لبلوغ مآربه مما ألب عليه الشعب ، وتحوّل "نيرون"، إلى عدو لدود لكل فرد من أفراد الشعب المسكين .

وبمجرد أن اندلعت أولى المظاهرات التى تندد بالطاغية حتى أمر "نيرون" ، جنوده باعتقال الآلاف حيث تم إعدام عدد كبير منهم والزّج بالآخرين فى غياهب السجون .

ومما أشعل غضب جماهير الشعب إقدام " نيرون" على الزواج بعاهرة سيئة السمعة تدعى " بوبية "، ونادى بها امبراطورة على البلاد .

وتصاعد الغضب الشعبى العارم ، وأحاطت الجماهير الثائرة بقصر "نيرون" وأخذت تطالب بإسقاطه ، وكان رد الفعل رهيباً لدى "نيرون" ، الذى أمر جنوده بالقضاء على الثورة بكل وسيلة ممكنة ، فراح الجنود يعملون سيوفهم وحرابهم فى الثوار فقتلوا منهم أكثر

من عشـرة آلاف فى مذبحـة رهيبـة بينما لاذ باقى الثـوار بالفرار أمام جحافل حرس الامبراطور التى أخذت تتعقبهم ، وفى محاولة من الثوار والمسيحيين للدفاع عن أنفسهم قاموا بإحراق بعض أحياء روما ، فـما كـان من "نيـرون"، إلا أن أمر بإضـرام النار فى كل أنحـاء المدينة بحجة تطهيرها من الدنـس والفساد بينما جلس "نيرون"، فى شرفات قـصره يعزف على قيثـارته وهو يراقب ألسنة النيران وهى تحصد أرواح مواطنيه وتدمر تراث حـضارة مئات السنين ، والعجيب أنه كان يبكى !!

عقب الحريق المدمـر الذى راح ضحيته عشـرات الألوف تصاعدت الثـورة الشعـبيـة فى كل أنحـاء الامبـراطورية الشـاسعـة ، وراحت الجـيوش الغـاضبـة تزحف على رومـا من كل حدب وصـوب بغيـة الإطاحة بهذا الامبراطور المجنون ..

وفى هذا الجو المشحون بالتوتر والقلق ذهب عقل "نيرون"، تماماً وراح يصدر الأوامـر المتناقضة لجنوده وأتبـاعه حيث أمـر بقتل كل حكام الأقـاليم المناهضين له ، كـمـا أمـر بذبح كل قـادة جيـوشـهم واتهمهم بالخيانة ..

وعندما رأى الجمـيع يتربصون به بادر بالفـرار من القصر وراح يهيم على وجهه وهو يتعجب من النهاية التـى آل إليها مصير " سيد العالم" كما كان يطلق على نفسـه .

وفى ثورة جنونه وخـوفه حـاول أن يطعن نفـسه بخنـجـره فى

رقبته ولكنه لم يستطع لفرط جبنه وضعفه فقام بهذه المهمة سكرتيره الخاص الذى ظل معه حتى اللحظات الأخيرة ، وعقب الطعنة القاتلة سقط "نيرون" غارقاً فى دمائه وتخلصت البشرية من أحد الوحوش الآدمية التى لم يشهد لها التاريخ مثيلاً .



# چنكيز خان

## سفاح الشعوب:

من بين أعجب الشخصيات فى التاريخ نجد " چنكيز خان "، يحتل مكانة متميزة للغاية، فهذا الرجل استحق منذ زمن بعيد لقب "سفاح الشعوب"، فهو بحق السفاح الأعظم فى تاريخ البشرية ويقدر بعض المؤرخين عدد ضحاياه بأكثر من خمسين مليوناً من البشر فى وقت كان تعداد عدد كبير من الشعوب العالم لا يصل إلى المليون بحال من الأحوال وهو بذلك يتفوق على سفاح العصر الحديث "هتلر"، الذى تسبب بجنونه فى إهلاك مثل هذا العدد من البشر تقريباً ولكن مع الفارق العظيم بين أسلحة هذا العصر وذاك، وعن قسوة "چنكيز خان"، وشدة بطشه فحدث ولا حرج، ويكفى أن نذكر أنه قد ألقى بأحد خصومه وهو زعيم إحدى القبائل المنافسة فى إناء من الزيت المغلى بعد أن وقع فى يده، أما قسوته على الشعوب التى شاء حظها العثر أن تخضع لسلطانه فقد بلغت حداً غير مسبوق .. لقد قتل سكان عدد كبير من المدن بالكامل ولم يترك منهم فرداً واحداً، كما أحرق جميع المبانى وأهلك المزروعات واستولى على كل الخيرات كما سيأتى ذكره بعد قليل ..

وعلى الجانب الآخر فلابد أن نذكر أن "چنكيز خان". كان قائدا بارعاً ذا عقلية عسكرية نابهة ، ومخططاً استراتيچياً فذاً وزعيماً متمكناً موهوباً ، تميز بالبلاغة وقوة الحجة رغم أنه لم يحصل على أدنى قدر من التعليم ولم يتعلم القراءة والكتابة ، تمكن بدهائه وقوة إرادته وحسن تدبيره من جمع كلمة المغول وتوحيد قبائلهم تحت رايته ، وقد استخدام فى حروبه المتعددة إساليب مبتكرة مثل الحرب الخاطفة التى تعتمد على الهجوم المفاجئ من عدة نواحى لشل حركة خصومة والإجهاز عليهم قبل أن يتمكنوا من استعادة الوعى ، حتى أصبحت سيرة "چنكيز خان"، وجيوشه تثير الرعب والفزع فى القلوب وانتشرت الكثير من الخرافات حول القوة الأسطورية لچنكيز خان وجيوشه مثل أنهم يقذفون الحمم من أفواههم وأنهم يمتلكون أجنحة كالطير ويأكلون لحوم البشر إلى أخر هذه الخرافات .

وعن عبقرية "چنكيز خان" العسكرية وبراعته الفائقة فى تنظيم جيوشه وفى رسم الخطط يقول العسكرى الأمريكى المرموق الجنرال "مكارثر":

( لو محيت جميع أخبار الحروب من صفحات التاريخ ماعدا أخبار "چنكيزخان" لبقى لرجال الحرب معين لاينضب من أنفس المعلومات عن تعبئة الجيوش وتنظيمها ، ومهما تغيرت أسلحة القتال فلابد من الرجوع إلى الماضى ومطالعة كتب التاريخ ليحذق الجندى فنون الحرب ومبادئها الأساسية التى لا تتغير ولن تجدها ممثلة فى غير سيرة امبراطور المغول منذ سبعمائة عام ) .

إن حياة " چنكيز خان " ، مليئة بالصدمات والمؤمرات والصراعات الدامية ، بل إن مولده جاء نتيجة استيلاء والده على إحدى النساء الجميلات التى أعجبته والزواج بها عنوة ، كما عاش الطفل حياة مليئة بالتوتر والقلق والرعب ، شهد فيها مصرع أقرب الناس إليه وعانى أشد المعاناة من غزوات قبائل المغول وهجماتهم وقسوتهم المروعة ، كانت أشد أنواع المعاناة هى التى تعرض لها عندما وقع فى أسر إحدى القبائل المغولية التى أذاقته العذاب ألواناً ، ولذلك كان انتقامه رهيباً ليس من هذه القبيلة فحسب بل من البشرية جمعاء .

**الأب والابن :**

منذ قديم الزمان وجدت هذه القبائل الغامضة التى أطلق عليها قبائل المغول وتوطنت فى صحراء "جوبى" شمال الصين ، ويقال إن اسم المغول يعنى الشجاع بلغة أهل هذه القبائل ، ويقال أيضاً إنه اسم أحد الزعماء المغول ، اشتهرت القبائل المغولية منذ القدم بالفروسية والشجاعة وعشق الحرب والقتال ، عاشوا فى الخيام وكانت حرفتهم الأساسية هى الرعى والصيد ، كما اشتهروا بالقسوة والجبروت والدهاء والمكر والخداع ، كانت الخيول جزءاً لايتجزء من حياتهم لدرجة اعتمادهم فى غذائهم على البانها ولحومها .

فى قبيلة من السلالات الممتازة تدعى (التمرجى) ولد " يسوجاى" والد "چنكيز خان" ، وكان هو زعيم خلفاً لولده " كابول خان"، الذى كان ذا شأن عظيم ، وتميز "يسوجاى" بالدهاء وسعة

الحيلة كما عرف بشدة البأس والقسوة ، وفى هذا الوقت من منتصف القرن الثانى عشر كان العداء على أشده بين قبائل المغول الذين مزقت بينهم الأحقاد والنزاعات ولم يعرفوا أى شكل من أشكال الاتحاد ، فهم برغم شجاعتهم وقوتهم إلا أنهم كانوا يمارسون هوايتهم المفضلة وهى الحرب والقتال فيما بينهم ، وفى هذه الأثناء كانت العدواة بين قبيلة ( التمرجى ) وقبيلة ( الماركت ) على أشدها ، وبينما كان "يسوجاى" يقوم بجولة رأى أحد أعدائه برفقة عروسه الرائعة الجمال ، أذهلت العروس ( هولون ) قلب "يسوجاى" وبعقليه القراصنة قام باختطافها من زوجها ليستأثر بها لنفسه ويتزوجها هو !! وقد أثمر هذا الزواج طفلاً ذكراً بعد تسعة أشهر تماماً ، لقد رضع هذا الطفل القلق والرعب كما ورث عن أبيه البطش والقسوة والجبروت ، كما كانت شهور الحمل بالنسبة لوالدته شهور خوف وعذاب ، ولابد أن تكون كل هذه المؤثرات قد انتقلت إلى هذا الطفل ليصبح فيما بعد صاحب أقسى قلب فى العالم وكان مجرد ذكر اسمه كفيلاً ببث الرعب والفزع فى كل مكان .

**تيموجين :**

إن قصة حياة "جنكيز خان " لهى أقرب إلى الأساطير وإن كانت قصة واقعية ، وأن من الواقع لحكايات أغرب من الخيال وأعجب من الأساطير .

ويقال إن فى يوم مولده قام والده " يسوجاى"، بغزوة مفاجئة

ضد أعدائه ( الماركت ) ، فهزمهم شر هزيمة وكان على رأسهم زعيمهم الشجاع الذى ظل يقاتل حتى النهاية مما أثار اعجاب "يسوجاى" ، فهو وأن كان عدواً لهذا الزعيم إلا أن الشجاع الجسور لا ينجذب إلا إلى مثله من الشجعان الأشداء المغاوير ، ولذلك اطلق اسم هذا الزعيم على ابنه فقد أسماه "تيموجين" ، ويعنى هذا الاسم ( الصلب المتين ) .

منذ نعومة أظفاره مارس تيموجين ، ركوب الخيل ورضع ألبان الخيول والماشية إلى جانب حكايات الحروب والقتال وهما الشغل الشاغل للمغول دائماً ، مارس رياضات الصيد وسباق الخيل والمصارعة ورمى السهام وأثبت براعة منقطعة النظير وكان دائماً يفوق أقرانه .

أسندت إليه مهام عديدة وهو صبى صغير من رعى وحراسة للخيول والماشية ، كما تم تكليفه بمهام الحراسة التى تقتضيها طبيعة حياة قبيلته المحاطة بالأعداء ، كانت عمليات المراقبة تتم فوق قمم الجبال فى أجواء سيئة للغاية من ثلوج وعواصف وأمطار .

كانت هذه المهام شديدة القسوة على صبى صغير مثل " تيموجين" ، وكان الدفع به إلى هذه المهام الخطيرة يعد سلاحاً ذا حدين ، فهو من ناحية يزيده قوة وصلابه ويكسبه مهارة ويصقل قدراته القتالية والجسدية، ومن ناحية أخرى قد يقتله أو يصيبه بعاهة دا ـة ، ولكن حياة المغول القاسية ونشأتهم وسط المخاطر

والمصاعب كانت ترجح دائماً الاحتمال الأول ، وقد أدرك المغول أن شدة العناية بأطفالهم والحرص المبالغ فى تنشئتهم تجعلهم جبناء ضعفاء .

وهكذا نشأ تيموجين ، صلباً شجاعاً لا يخشى شيئاً ، كما عرف بأنه أمهر أفراد قبيلته فى رمى السهام بالإضافة إلى ذكائه وسعة حيلته وكان أحسن من يقوم برسم الخطط وأمهر من يقوم بتنفيذها بسرعة ودقة متناهية ، ولكن هذه الصفات الرائعة فى "تيموجين" ، كانت تقابلها أضعافها من الصفات السيئة مثل العنصرية الطاغية ومقت كل شعوب الأرض والرغبة فى إهلاكهم ، وعن ذلك يقول :

( فليهلك العالم لكى يسعد چينكز خان ).

ويقول أيضاً :

( إن غاية ما أتمناه هو رفع شعبنا إلى مرتبة السيادة على العالم ) .

وهو قول يتطابق تماماً مع رأى سفاح العصر الحديث "هتلر" ، الذى كان يعمل على تأكيد سيادة وتفوق الجنس الآرى على باقى الأجناس ، وإنه الجنس الأرقى !!

**ميراث الكراهية :**

كانت طبيعة الحياة التى عاشها الطفل "تيموجين" ، كفيلة بتنشئته نشأة قاسية خشنة رغم مظهره الذى كان لا يخلو من سمات

الجمـال ، فيروى عن صفـاته أنه كان ذا عينين رمـاديتين تميلان إلى الزرقة وجـبهة عـريضة تدل على حـدة الذكاء وسعـة الحيلة وشـعر أحمر مـميز ، ولذا فإن من الصفات الشائعة عنه أنه ( صاحب اللحية الحمراء ) .فى طفولته المبكرة رأى أمام عينيه جده وهو يموت بعد أن نـجح امـبراطور الصين فى دس السـم له ، وعقب ذلك بقليل شـاهد أيضـاً مقـتل أبيـه غيلة وغـدراً على أيدى رجـال من إحـدى القبـائل المغـولية المعـادية ، وربما كـانت هذه الحـادثة من أهم الأسبـاب وراء قسوته المروعـة وطغيانه الذى لم يعرف له التاريخ مـثيلاً .. لم يقف الأمـر عند هذا الحـد إذ تدهورت أحـوال أسـرته عـقب مـقـتل والده "يسوجاى" ، فقد احتفظت هذه الأسرة بوضع متميز منذ زمن طويل وكان فيها دائـماً زعماء القبيلة ، وتم انتخاب زعـيم جديد للقبيلة من أسرة غيـر أسرة "تيموجين"، التى تدهورت أحوالهـا مادياً ومعنوياً إلى حد كبير وأصبحت تلقى الذل والمهـانة داخل القبيلة ذاتها ويشعر أفرادها بالضعف والهوان بعد سنوات طويلة من المجد والفخار ، ومن أهم الحـوادث فى تلك الفـتـرة والتى لهـا دلالة كـبـيـرة هى إقـدام "تيموجين" ، على قـتل أخيه المدعو " بايكتار" ، عـقب نزاع بينهما وكان "بايكتار" ، هذا أخاً غـير شقيق لتيمـوجين" ، وقد حزنت أمه حزناً شديداً وخاصمته لعدة شهور.

وعندما كان فى بداية سن الشباب تزوج من إحدى جميلات المغول وتدعى "يورناى" ، وقـد تميزت هذه الفـتـاة بجمـال خلاب وفـتـنة

طاغية . ولكن تيموجين تعرض من خلالها لواحدة من أشد الصدمات التى حفلت بها حياته ، فقد نجحت قبيلة ( الماركت ) المعادية فى اختطاف زوجته ، وهكذا يعيد التاريخ نفسه وتثأر القبيلة لنفسها من ابن "يسوجاى" الذى اختطف إحدى فتياتها وتزوجها ، ومما يذكر أن "تيموجين" ، قد نجح فى استعادة زوجته بعد ذلك ، ولكنه خلال الفترة التى فقدها فيها عانى أشد أنواع الذل وترسبت فى أعماقه مرارة الحقد وأقسم على أن يذيق أعداءه ألواناً من العذاب .

**المحنة الكبرى :**

أما أشد المحن التى تعرض لها " تيموجين" ، ( والذى لم يعرف باسم "چنكيز خان " إلا بعد أن أصبح امبراطوراً عظيماً ) ، فهى الوقوع فى أسر قبيلة معادية وهى قبيلة " التايدجوت" ، لقد حاصر فرسان هذه القبيلة أسرة "تيموجين" ، حصاراً قاسياً فى الجبال كان من المستحيل عليهم الهروب وكان شرطهم لفك الحصار هو تسليم " تيموجين"، إليهم .. وتحت هذا الضغط الرهيب لم يكن أمام الأسرة مناص من الأذعان ، وهكذا أصبح "تيموجين" ، أسيراً فى أيدى أعدائه .. لم يكن أسيراً عادياً فالقبائل تعرف مدى الخطر الذى يمثله ، ولاينسى أحد ما فعله آباؤه وأجداده بهم من قبل ، كما أن "تيموجين"، كان شديد الخطر متعدد المواهب .

وللحد من خطورته قامت قبيلة "التايدجوت" ، بوضع إطار ضخم

من الخشب حول عنقه ، كان هذا الإطار ضخما وثقيلاً إلى حد كبير ، ولم يتقصر الأمر عند هذا الحد فقط بل قيدوه بالسلاسل الثقيلة ووضعوه في السجن لضمان عدم هروبه ، وكانت تلك المحنة من أشد المحن التي مرت بحياة "تيموجين" ، وكان لها صدى هائل فيما بعد ، فقد كانت من أهم الدوافع التي جعلته يصب على أعدائه ألواناً من العذاب الرهيب فكان بذلك ينتقم لأسرته ولنفسه ولكرامته الجريحة ولكبريائه المهدرة حتى صارت القسوة سمة من سماته المميزة .

## بداية الأسطورة :

لم يكن "تيموجين"، مجرد أسير عادي كباقي الأسرى الذين يقعون في أيدي القبائل المغولية المتحاربة دائماً ، فإنه برغم محنته الكبرى وقيوده القاسية إلا أن عقله الجبار كان متحرراً من الخوف والأسر ، ومن خلال قدراته المميزة تمكن من اجتذاب عدد من الأصدقاء الذين كان في أشد الحاجة إليهم للخروج من أزمته الكبرى ، ومن أهم هؤلاء الأصدقاء أحد مشايخ القبائل ويدعى " طوغريل " ، وكان صديقاً حميماً لوالده وكان هذا الرجل ذا نفع عظيم له فيما بعد .

نجح "تيموجين" ، في الهروب من سجنه الرهيب بطريقة رائعة أثارت حماس الكثيرين من المغول وألهبت خيالهم وذكرتهم بأجداده العظماء أصحاب المجد والقوة ، وهكذا بدأت الأسطورة الكبرى وكانت

التف حول الفارس الجبار عدد كبير من فرسان المغول البواسل كما استطاع عقد تحالف وثيق مع " طوغريل" ( ويقال إنه كان عمه ) ، بلغ تعداد جيش " تيموجين" ، نحو ثلاثة عشر ألف مقاتل من خيرة شباب المغول وأكثرهم إيماناً بقدراته ، وبدأت أسطورة ظهور فاتح عظيم من بين المغول فى الانتشار بين القبائل ..

كانت هذه الأسطورة تدور حول خروج فاتح عظيم من المغول يقوم بتوحيد صفوف المغول والقضاء على المنازعات القائمة بين القبائل من أجل السيطرة على العالم وفتح الممالك الكبرى ليصبح المغول هم سادة العالم .. وراح المغول ينشرون هذه الأسطورة فى كل مكان ويتغنون بها حتى كاد الأمر يصل إلى درجة اليقين ، ومما لاشك فيه أن وراء انتشار هذه الأسطورة تدبيراً محكماً وتخطيطاً رائعاً من الفارس "تيموجين" ، الذى أدرك منذ عشرات السنين مدى خطورة الدعايا المكثفة لتحقيق أغراضه ، ونستطيع أن نقول تجاوزاً أن ما حدث يشبه إلى حد بعيد الحملات الإعلانية المكثفة التى يقوم بها أفراد أو هيئات من أجل الترويج لأهدافها أو منتجاتها .

أخذ " تيموجين"، يدرب جنوده على فنون الحرب والقتال ويغرس فى نفوسهم الولاء والإخلاص له ويروج لفكرته التى تنص على تفوق المغول على سائر الإجناس .

**الإعصار :**

كان " تيموجين " ، يؤمن تماما بأن شأن المغول لن يرتفع ولن تقوم لهم قائمة وهـم متفرقون مـتحاربون يقاتلون تحت رايات مـختلفة ، وفي نفس الوقت كانت نيران الحـقد والانتقام تعصف به وتسـتحثه على الثأر لنفسه ولأسرته من قبيلة " التايدجوت " ..

ومعركة المركبـات هى أولى المعارك فى سلسلة الحروب والغزوات التى خـاضـها جـيوش المغـول تحت قيـادة "تيموجين" أو " چنـكيز خان" ، قاد جيشه القوى فى هجمة مباغته أحسن التخطيط لها وكان هدفه منها إخضاع قبيلة "التايدجوت" ، ولم يستغرق الأمر أكثر من يوم واحد فقط ، وفى نهايته كانت قواته قد حققت انتصاراً ساحقاً ، وقد أطلق على هذه المعـركة "معـركة المركبـات"، لأنه قام بهجـماته تحت ستار من حماية العربات والمركبات .

وكان انتقامـه من زعيم القبيلة رهيباً .. فقـد ألقاه حياً فى إناء من الزيت المغلى فى صـورة من أبشـع صور الانتـقام الـتى عرفـتـهـا البشرية ، أما باقى أسراه فقد أمر بقتلهم عن اخرهم بلا رحمة .

إن مـا فـعله " تيمـوجين " من فظـائع بقبـيلة " التـايدجـوت " بالإضافـة إلي الأسطورة التي روّج لها أتباعـه من قبل جعل القـبائل المغولية تأتيه تباعاً وتعلن خضوعها وولاءها الكامل له ولم يشذ أحد من المغـول عن هذا السلوك ، وهكذا أصـبح "تيـموجين" هو القـائد والزعيم الأوحد لهذه القبـائل المقاتلة التى كانت تضم أعظم المحاربين

فى ذلك الوقت . ولكن العالم لم يكن قد عرف شيئاً بعد عن المغول

تميز سلوك "چنكيز خان " ، دائماً بالغدر والخسة ، فبعد أن صار له جيش عظيم وبعد أن أصبح الزعيم الأوحد للمغول استدار إلى حليفه "طوغريل" وقتله بلا رحمة حتى لا ينازعه سلطانه يوماً ما .

استعان على تحقيق أهدافه بمختلف الطرق والوسال .. فهو تارة يعمد إلى التهديد والإرهاب وتارة يلجأ إلى الحكمة والدبلوماسية وقد يضطر إلى بذل الوعود حتى ينجح فى تحقيق أول أهدافه وهو توحيد المغول وبناء جيش قوى لم تعرف الدنيا له مثيلاً .. ويرجح بعض المؤرخين أن تعداد هذا الجيش تعدى المائة ألف مقاتل ، ثم تضاعف عدة مرات بعد غزواته التالية ..

كانت امبراطورية الصين هى الهدف الأول ونقطة البداية فى غزو العالم ، ورغم أنها من الامبراطوريات الكبرى إلا انها كانت تعانى عوامل التفكك والتحلل التى ساعدت على القضاء عليها .

ونشير هنا إلى نقطة هامة للغاية ، فبالرغم من الهالة الأسطورية التى أحاطت بالمغول وقوتهم الرهيبة وجيوشهم التى لا تقهر إلا أن العامل الأساسى فيما تحقق لهم من انتصارات هائلة هو ضعف وتخاذل الدول التى قاموا بغزوها ، كانت معظم هذه الدول تعانى من الصراعات الدامية على السلطة وكثرة الفتن والمؤامرات الداخلية ، ولاننكر بالطبع حسن تنظيم جيوش المغول وبراعتهم القتالية والأسلوب الذى ابتدعه "چنكيز خان "، من الهجوم المفاجئ الذى لا

يترك فرصة لعدوه لكى يفكر أو يتدبر أمره وكان قد أطلق اسم " چنكيز خان " فى سنة ١٢٠٦ عقب اجتماع زعماء القبائل المغولية ، وكان هذا الاسم يعنى ( مبعوث السماء ) ويترجم أيضاً إلى ( أعظم الحكام وامبراطور البشر جميعاً ) .

**الدمار الرهيب :**

انعكست قسوة " چنكيز خان "، ووحشيته على كل جندى من جنوده ، شهد غزوه للصين أولواناً من الوحشية والبشاعة كانت مقدمة لما سيشهده العالم بعد ذلك من مجازر رهيبة قام بها المغول ، لقد أبادت قوات " چنكيز خان " مدناً بأكملها وسوتها بالأرض بعد نهبها بالكامل وقتل جميع سكانها بلا رحمة ، لا فرق عندهم بين طفل وامرأة وعجوز كان "چنكيز خان "، يحصل من الغنائم على الثلث ويترك الثلثين لجنوده ولهم أن يفعلوا ما يشاءون فى البلاد المفتوحة ، ولا تسل عن الأعمال الوحشية التى ارتكبها المغول فى هذه البلدان المنكوبة من اغتصاب للنساء وبقر بطون الحوامل وإحراق مدن بأكملها ويقال إن المغول قتلوا أكثر من نصف مليون صينى قبل أن يعودوا إلى بلادهم ثانية ، وكان چنكيز خان قد اتخذ مدينة "قرة تورم"، عاصمة له ، وتوجد هذه المدينة فى جمهورية منغوليا حالياً .

وتعاظمت ثقة "چنكيز خان"، بنفسه وتعاظم غروره ، ومن أقواله التى توضح ذلك :

( إن فى السماء قوة الشمس ، أما على الأرض فقوة الخان ) .

وكانت راية "چنكيز خان" ، عبارة عن ديول تسعة من الوعول ، وكانت هذه الراية كفيلة بإلقاء الرعب فى قلوب أشجع الفرسان

بعد أن انتهى أمر الامبراطورية الصينية اتجهت أنظار "چنكيز خان" نحو امبراطورية خوارزم الإسلامية الكبرى التى كانت تعانى بدورها من الخلافات والنزاعات السياسية بين حكامها ، ولم يقدر الحكام مدى خطورة التهديدات المغولية واتخذوا خطوة تدل على الجهل والغرور .. فقد أرسل إليهم "چنكيز خان"، برسله ليدعوهم إلى التسليم بدون قتال ولكن امبراطور خوارزم أمر بقتلهم فكتب بذلك شهادة وفاة امبراطوريته ..

لقد فعل "چنكيز خان"، بامبراطورية خوارزم مالم يفعله فى الصين حيث كان انتقامه مضاعفاً ، لقد عاث المغول فى البلاد فساداً وألحقوا بها دماراً مهولاً ، فدمروا كبريات مدنها التاريخية مثل "لاهور" و"مولتان" و" بخارى" ، وسويت عدد من المدن بالأرض تماماً ، وها هو المؤرخ الاسلامى " ابن الأثير"، يتحدث عن هذه المأساة المروعة ويقول فى كتابه الشهير (الكامل فى التاريخ ) :

(من يسهل عليه أن يكتب نعى الإسلام والمسلمين ومن الذى يهون عليه ذكر ذلك ، فياليت أمى لم تلدنى وكنت نسياً منسياً .. لقد شقوا بطون الحوامل وقتلوا الأجنة وقتلوا النساء والرجال والأطفال ) .

وفى مدينة بخارى العريقة ارتكب المغول أشد الفظائع ، فقد أحرقوا المدينة بالكامل واعتدوا على النساء وبقروا بطون الحوامل وتركوا

الأطفال مشردين فى العراء وداسوا نسخ القرآن الكريم بالأقدام وبحوافر الخيول ، وأخذوا يشربون الخمر ويصخبون فى المسجد ويمتهنون حرمته ويسخرون من العلماء ويحقرونهم قبل أن يقتلوهم .. وراح الطاغية ذو اللحية الحمراء يخطب فيهم قائلاً :

( إنى نقمة الله على الأرض ولابد أنكم تستحقون العقاب لأن الله ساقنى إليكم ) .

وبعد سلب كنوز المدينة وأموالها طلب "چنكيز خان " من أهلها مغادرتها لا يحملون معهم شيئاً ويصف ابن الأثير هذا المشهد المؤلم ويقول :

( وكان يوماً عظيماً من البكاء من الرجال والنساء والولدان .. وأصبحت بخارى خاوية على عروشها ) .

أما مدينة "سمرقند" و"الرى" ، فقد لحقهما مالحق "بخارى" من دمار وخراب بل إن المغول قتلوا كل سكان مدينة "الرى"، ولم يغادروا منهم أحداً .

ومن أبشع صور التنكيل والتعذيب التى تعرض لها ضحايا المغول ما تعرض له سكان مدينة " ترمذ" المساكين ، فقد ادعت إحدى النساء إنها تمتلك جوهرة ثمينة ابتلعتها لتحميها من الضياع ، وإنها على استعداد للتنازل عنها للمغول مقابل إطلاق سراحها ، فما كان من الطاغية "چنكيز خان " إلا أن أمر جنوده بشق بطون جميع أهل المدينة الأحياء والأموات للبحث عما يكون مخبأ فيها من كنوز !!

وعندما علم المغول عن طريق بعض جواسيسهم أن الأحياء يرقدون وسط الأموات للهروب من القتل أمـر الطاغية جنوده بفصل رأس كل من يقتلونه للتحقق من موته بالفعل !!

ولضـمـان القـضـاء على أهل البلدان الـتى نكبت بغـزوهم كـانوا يعمدون قبيل مغادرتهم لها إلى حرق المحاصيل ومخازن الغلال حتى لا ينتفع بـها أحد من الأحـيا ء الذين نـجـحوا فى الفرار بـوسيلة أو بأخـرى ، ولم يكن أمام هـؤلاء المساكين وسـيلة للنـجـاة .. والذئاب تتربص بهم من ناحـية والجوع والفـزع ينهش أجسادهم من ناحـية أخرى ، أما فى مدينة خـوارزم فبعد أن طال بالمغول حصـارها فتحوا السد الذى يحجز عنها مياه النهر لتغرق كلها !!

إنها بالـفعل صور مـأساوية بشـعة تدل على مـدى وحشـية هذا الامبراطور الدموى الذى لا يعرف الرحمة والشفقة .

**النهاية :**

من الجدير بالذكر أن "چنكيـز خان " ، نـجح فيما فشـل فيه عدد من كـبار الفـاتحين فى التاريخ وعـلى رأسهم "نابليـون" و"هتلر" ، ونقصد بذلك فـتح روسيا ، لقد كانت هذه المحاولة هى القـاضية على أحلام الزعـيمين ، أما "چنكيز خـان " ، فقد نـجح فى فتح روسـيا بواسطة جـيوشــه الرهيبـة التى اكتـسبت المزيد من الـقوة والخـبرة بالإضافة إلى الدعايا الهائلة التى أحاطت بها .

وقد تعرض كل من تصدى للمغول للقتل والفناء ومنهم حاكم كييف نفسه ، بل إن " چنكيز خان " ، نجح فى إبادة جيش قوى تم تشكيله من الروس للتصدى للمغول ، وكان قوام هذا الجيش ٨٢ ألف مقاتل ، وبعد أن أخضعوا روسيا لسيطرتهم تقدموا لغزو المجر وبولندا .

ويذكر المؤرخون أن ما حققه " چنكيز خان " ، من مجد عظيم وفتوحات هائلة يرجع بجانب عبقرية " چنكيز خان "، وقدراته العالية ، إلى استعانته بعدد من خيرة القادة العسكريين والمستشارين الأكفاء وعلى رأسهم " بليوتشوتزاى " ، السياسى القدير الذى كان يعمل فى خدمة امبراطور الصين قبل أن يختاره " چنكيز خان " ، لخدمته ، ويقال إنه استطاع الحد من الدمار والخراب فى العديد من البلدان التى فتحها المغول ، كما حافظ على العديد من السجلات والمخطوطات والقطع الفنية التى تم الاستيلاء عليها فى عدد كبير من البلدان ، ومن أعظم القواد أيضاً " سابوتى " و" موهولى " .

ولكن مازال هناك نقاط غامضة فى خطط " چنكيز خان " ، البارعة وأعماله الإدارية والحربية الرائعة ، ويقال إنه حزن أشد الحزن على أكبر أبنائه الذى قتل فى معارك غزو روسيا ، وقد اضطر " چنكيز خان " ، للاعتكاف فى خيمته عقب مرضه وتدهور صحته واضمحلال قواه ، وقد توفى عن عمر يناهز الثانية والسبعين وذلك فى سنة ١٢٢٧ .

ومـمـا يذكـر أن چنكير خان ، لم يهـرم قط خلال حياته كـما أحسن تنظيم امـبراطوريتـه الضـخمة ولـذلك ظلت باقية عـقب وفاته حيث خلفه أبناؤه .



# روبسبير

## بين المثالية والجنون :

إن " ماكسيليمان روبسبير " ، يعتبر أحد الذين اختلفت حولهم الآراء اختلافاً بيناً فمن قائل إن هذا الزعيم الثائر بلغ قمة المثالية وكان أعظم نصير للفضيلة وخير من يعبر عن طهارة اليد وبراءة الذمة ، ورأي أخر يقول إن " روبسبير"، كان رجلاً به هوس وخبل ولا يمكن أن يكون إنساناً عادياً بحال من الأحوال ، ويقول آخرون إنه كان ديكتاتوراً متسلقاً تعدى حدود العدل والرحمة وجعل نفسه قاضياً وجلاداً فى نفس الوقت فأزهق مئات الأرواح دون وجه حق ونشر الخوف والإرهاب والرعب فى أرجاء فرنسا .

وقد تضاربت الأراء حول شخصية "روبسبير " ، إلى حد كبير ويرجع ذلك إلى كثرة الذين قاموا بالكتابة عن الثورة الفرنسية فكان لكل منهم ميوله واتجاهاته وتجاربه الشخصية ولذلك فهو يكتب من زاويته هو ، ويعكس مايراه ومايشعر به ، فبعض مؤيدى الثورة الفرنسية لم يقسوا فى حكمهم على "روبسبير" ، رغم إقرارهم بتطرفه وعنفه واعتبروا أنه رجل مثالى حاد عن الطريق ليصبح متطرفاً ، أما الذين اكتووا بنار الثورة الفرنسية وفقدوا أموالهم أو

ذويهم فإنـهم لم يروا فى "روبسبـير" ، وغيـره من زعمـاء الثورة سـوى حـفنة مـن المجـانين والمتطرفين الذين ولـغـوا فى دم الأبرياء كالوحـوش المفتـرسة ، وبين الفـريقين مجـموعة من الكتـاب تناولت الأمر بصورة موضـوعية إلى حد بعيد وحـاولت نقل صورة صـادقة عن هذا الرجل وغـيره من رجـال الثـورة الفرنسـيـة ، وعلينا ونحن نقترب من هذه الشخصية ، شخـصية "روبسبير" ، أن نحكّم عقولنا ونسأل قلوبنا ..

ويمكن أن نوجز حياة " روبسبـير" ، فى هذه العبارة : " لقد بدأ بـداية رائعة وانتهى نهاية بشعة ".

ويمكننا أن نقارن بين البداية والنهاية لندرك ذلك بوضوح ، ويكفى أن نذكـر أن العام الذى انفـرد فيـه "روبسبـير" بالسطلة وهـو عام ١٧٩٣ - ١٧٩٤ ، كان أسـوء أعوام فرنسـا على الإطلاق ، ويقال إن عدد الذين تم إعـدامهم فى هذا العـام يفوق عـدد الذين أعدمـوا خلال مائة عام فى فرنسا !!

فأين ذلك من الشـاب المتحـمس الأنيق الحريص على الفـضيلة إلى حد كبـير ، الذى اعتنق مبادئ الثـورة الفرنسية الشهـيرة ، الحرية ، والإخاء ، والمسـاوة ، ذلك الشاب الذى ناضل نضال الأبطال للقـضاء على النظام المُلكى والتخلص من ظلم النبلاء والإقطاعيين ؟!.

### المحامى الأنيق :

ولد "ماكسيليمان روبسبـير"، عام ١٧٥٨ فى أسرة فقيرة بمدينة

"اراس" ، الفرنسية وفى ذلك الوقت كان الفرنسيون يعانون أشد المعاناة من ظلم الحكام وطغيان النبلاء والاقطاعيين وأيضاً كبار رجال الدين ، وكانت أراء كبار الفلاسفة مثل " روسو" و"ڤولتير" و"ديدرو" عن الحرية والعدالة والمساواة من أهم العوامل التى دفعت الفرنسيين للنهوض والوقوف فى وجه جلاديهم الذين استعبدوهم طويلاً .

وقد عانى " روبسبير" ، مثل ملايين الفرنسيين من عامة الشعب من الفقر والحرمان وكان يحلم مثلهم بالتخلص من هذه الأنظمة الفاسدة والعيش فى دولة حرة يسودها الإخاء والمساواة والعدل .

شق " روبسبير" ، طريقة بقوة وعزم حتى أنهى دراسته القانونية ومارس مهنة المحاماة فى مدينة "اراس" ، كان مظهره عادياً بقامته المتوسطة وجسده النحيل ورأسه الكبير ولكنه تميز بقدرته الخطابية وبلاغته المؤثرة وأناقته المفرطة وأدبه الجم وحرصه الشديد على الفضيلة وأداب السلوك .

وبدأ نجم روبسبير، فى الصعود فى نفس العام الذى بدأت فيه شرارة الثورة الفرنسية وكان أحد الذين ساهموا فى اندلاع لهيبها .

**الزعيم المتطرف :**

بدأ روبسيير يخوض معترك الحياة السياسية مبكراً ، وقد أهلته قدراته الخطابية والإنشائية وحماسه الشديد ليتبوأ مكان الصدارة

بين الثـوريين المتطرفين، كانت الأوضـاع فى فرنسـا متردية للـغاية والجميع يترقبون حدثاً غير عادى وإن لم يعرفوا كنهه .

فى عام ١٧٨٩ انتخب "روبسبير" فى الجمـعية الوطنية الفرنسية وكـان من الأعضـاء المؤسسين لأحـد الأحـزاب الثورية المتطرفـة فى فرنسا والذى عُرف باسم " نادى اليعاقبة " ، وراح يهاجم سياسات الحكومة وينادى بالحرية والعدالة .

وفى الرابع عـشـر من يوليـة سنة ١٧٨٩ اندلعت أحـداث الثـورة الفرنسية واقـتحمت جموع الشعب الثائرة سجن البـاستيل الذى كان يمثل رمـز للظلم والطغيـان ، وبدأ عصـر الثورة الفـرنسيـة وأصبح زعماء فرنسا هم زعماء الثورة ومنهم "روبسبير"، الذى استطاع أن يستحوذ على حب وتأييد جموع الفرنسيين البسطاء ، وقد استند إلى هذا التأييـد الكاسح فى تحقيق طـموحاته الكبـرى وفى التخلص من منافسيه واحداً بعد الآخر .

فى يوليه من عام ١٧٩٣ استطاع أن يسيطر على لجنة الأمن العام فى باريس بعد أن تخلص من جميع منافسيه ، وعلى رأسهم عدد من زعمـاء الثورة الفرنسيـة مثل " دانتون" و" هيبـير" و" ديمولان"، وكـانت لجنة الأمن العـام بمثـابة حكومـة فرنـسا الثـورية وأصـبح "روبسـبيـر" ، على رأسـها فى هـذا العام وبدأ فى فـرنسـا عصـر الإرهاب والرعب .

## عصر الإرهاب الأسود :

ذكرنا أن بداية "روبسبير" كانت رائعة ، ولنا أن نتخيل شاباً نحيلاً ذا صوت هادىء ولكنه عظيم الأثر ، عانى من الفقر وعاش حياة الذل والحرمان ، يحدث الشعب عن أحلامه وأماله فى إقامة مجتمع الفضيلة القائم على مبادئ الثورة الشهيرة " العدل والحرية والمساواة " ، تلك المبادئ التى كان لها فعل السحر فى الشعب المسكين .

ولكى يقيم روبسبير مجتمع الفضيلة راح يتخلص من خصومه ومنافسيه بلا رحمة ، وعندما أصبح هو الزعيم الأوحد فى فرنسا ارتكب من الفظائع والأهوال مالن يمحوه التاريخ أبداً ، وصارت سكين المقصلة هى أداته المفضلة فى إقامة مجتمع الفضيلة !!

وعن محكمته الثورية الرهيبة يقول الجنرال " جوفيون دى سان سير "

( كانت هذه المحكمة لا يقبل أمامها محامون ، وشخصية المبلغ لا تظهر أمامها ولا يجئ ذكر اسمه ولا يواجه من أبلغ عنهم ، لا أوراق لهم ولاسجلات وحتى الحكم لايدون ولا الاستجواب . . إنما كان الأمر يجرى شفاهة .. يقبض على المتهم فى الساعة الثامنة ويحاكم فى التاسعة ويعدم رمياً بالرصاص فى العاشرة وكانت ترصد مكافءة مالية للمبلّغ دون أن يظهر اسمه بأى حال ) .

وهكذا كانت آلاف الرؤوس تقطع لمجرد شبهات ظالمة .

ويقدر البعض عدد الذين صدر ضدهم حكم الإعدام خلال عصر " روبسبير " ، بنحو سبعة عشر ألفاً ، أما عدد الذين تم إلقاء القبض عليهم وأودعوا السجون فيزيد عن ثلاثمائة ألف

وكانت التهمة التى توجه دائماً للمتهمين أنهم أعداء الثورة ، وهى تهمة واسعة فضفاضة وفى نفس الوقت كافية لوضع رقبة المتهم تحت سكين المقصلة ( الجيلوتين) ، بدون محاكمة ، وقد ارتكب " روبسبير " من الفظائع فى سنة واحدة مالم تشهده فرنسا خلال مائة عام من الظلم والطغيان ، وتحول داعية الثورة المتطرف إلى أكبر إرهابى عرفته فرنسا فى تاريخها ، وكانت الفترة من يوليه ١٧٩٣ حتى يوليه ١٧٩٤ هى أصعب سنوات فرنسا حقاً .

**الخطأ القاتل:**

ومن حسن حظ الشعب الفرنسى أن وقع " روبسبير " ، فى خطأ قاتل عجل بنهايته وكان هذا الخطأ تتويجاً لسلسلة من الأخطاء والممارسات الوحشية منها الغاؤه للديانة المسيحية والدعوة إلى عبادة العقل ، كما ألغى التقويم الميلادى وابتدع تقويماً آخر بديلاً عنه ، بالإضافة إلى تطرفة وظلمه وإزهاقه لآلاف الأرواح دون وجه حق .

وكان خطؤه القاتل هو إصدار قانون يحرم أعضاء البرلمان من

حصانتهم البرلمانية ، وقد صدر هذا القانون فى ١٠ يونية سنة ١٧٩٤ ، واعتبره الأعضاء سيفاً مسلطاً على رقابهم ، كان يرمى إلى التخلص من كل معارضيه بواسطة هذا القانون العجيب ، وبدافع الخوف على أرواحهم قرر الأعضاء الإطاحة بالطاغية وتزعم المؤامرة "تاليان" و"باراس" ، حيث تم تجهيز قوة عسكرية توجهت إلى دار البلدية وتم القبض على " روبسبير" ، عقب إصابته برصاصة فى فكه ، وتمت محاكمته وأدين بتهمة الخيانة العظمى وصدر الحكم بإعدامه حيث أعدم بالمقصلة فى يوليه عام ١٧٩٤ ، ليشرب من نفس الكأس التى أذاقها للآلاف من التعساء .



# محمد على باشا

## مؤسس أقوى دولة فى الشرق :

من المفارقات العجيبة أن هذا الجندى البسيط القادم من ريف اليونان ضمن القوات العثمانية يصبح هو حاكم مصر ومؤسس نهضتها الحديثة ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل إنه نجح فى إلحاق الهزيمة بالدولة العثمانية ذاتها واستولى على العديد من أملاكها فى الشرق ليضمها إلى امبراطوريته التى جعل مصر مركزها ، ولما كان "محمد على" ، يتمتع بذكاء خارق ودهاء شديد وطموح لاتحده حدود ، فقد واصل جهوده الرائعة لبناء مصر على أسس متينة من العلم والقوة جنباً إلى جنب وكان يعلم أن العقل بحاجة إلى نور المعرفة لكى يتحرر من قيود الخرافات البالية وينطلق إلى عالم البناء والإبداع فأنشأ المدارس والمعاهد إلى جانب المصانع المتنوعة وأعاد تكوين الجيش على أسس سليمة واستقدم الخبراء من الدول الغربية لتدريب الجنود ، كما اهتم بتسليح الجيش بأحدث أسلحة ذلك العصر ، قام بخطوة جريئة تدل على مدى طموحه حيث بنى أسطولاً كبيراً يحمى شواطئ مصر ويكون وسيلتها لنقل جنودها إلى كل مكان .

فى عهده أصبحت مصر أقوى دولة فى الشرق الأوسط وتحقق لها العديد من الانتصارات الكبرى ، مما دفع " محمد على " إلى طلب المزيد والمزيد ، وكان خطؤه الأكبر أنه قام بتهديد أوربا ذاتها وكان فى إمكانه غزو اليونان وغيرها من الدول الأوربية بعد أن حقق بعض الانتصارات مما نبه الدول الأوربية وروسيا إلى خطورته ، فاتفقت عليه هذه الدول وقررت تحطيم قوته العسكرية وتقييد قدراته وفرض القيود على تحركاته حتى لا يشكل أى تهديد فى المستقبل .

ولا يختلف اثنان على أن " محمد على " ، أحد العلامات البارزة خلال القرن التاسع عشر ، وأنه نجح فى تحقيق الحلم بحكم مصر وهو لم يكن مصرياً وليست له أية جذور شرقية على الإطلاق لكنه كان أكثر الجنود العثمانيين ذكاء ودهاء وسعة حيلة ، وتمكن بدهائه من الاستحواذ على قلوب المصريين ودفعهم دفعاً إلى المطالبة به حاكماً عليهم بعثوراتهم وانتفاضاتهم ضد حكامهم من المماليك ، ولا يمكن أن تمر سيرة " محمد على باشا " ، دون ذكر حادثة القلعة الشهيرة التى توضح بجلاء مدى سعة حيلة هذا الرجل وإصراره على بلوغ غايته مهما كانت الصعاب التى توجهه .

لقد نجح عدد كبير من صغار الجنود وصعاليك الشعوب فى عدد كبير من البلدان فى الوصول إلى سدة الحكم ، ولكن قليلاً منهم هم الذين بلغوا مثلما بلغ " محمد على " ، من مجد وقوة ، ذلك بالإضافة إلى استقرار حكم أسرته فى مصر لمدة ١٤٧ عاماً وانتهت بقيام ثورة

يوليـه ١٩٥٢مـمـا يدل على مـدى عـبـقـرية هذا الرجل وحـسـس سياسته وبعد نظره .

إن من ينظر إلى صـورة هذا الجندى الريفـى البسـيط القـادم من سواحل اليونان مساعداً لقائد إحدى الفرق الصغيرة لايكاد يصدق إنه هو ذاته "محمد على باشا" ، والى مـصـر وصاحب الجيوش الجرارة والأساطيل الحديثة ومؤسس النهـضـة الكبرى التى أحدثت نقلة هائلة لشعب مصر من العصور الوسطى إلى العصر الحديث .

**نبوءة عرافة يونانية :**

إن حياة " محمد على " حافلة بالأحداث المتلاحقة والمشاهد المؤثرة التى تجعلنا نشعـر بالإثارة البالغة ، وقد تناول عدد كبـير من الكتاب الأوربيين والعرب سـيرة حيـاة هذا القائد العظيم ونقبـوا فى تاريخه وبحـثوا عن جـذوره حتـى تمكنوا من الإحاطة بكـل مايتـعلق به من تفاصيل وأحـداث ، وحينما نصل قديم هذه الأحداث بحديثـها سوف تتوافـر لنا صورة واضـحة تماماً عن هـذه الشخصـية المـميزة التى حيرت العالم زمناً .

ولد " محمد على " على أرجح الروايات فى عام ١٧٦٩ م ( ذكرت بعض المصـادر على أنه ولد ١٧٧٠ م ) فى إحـدى القرى الصـغيـرة الواقعـة على ساحل بحر إيجـه باليونان ويطلق عليهـا العرب اسـم " قولـة " وتحتل هذه القـرية صخـرة تمتد إلى داخل بحـر إيجه تـبدو للناظر إليها عن بعد على هيئـة رأس جواد فأطلق عليها قديماً اسم "

لاكوال " أى الجواد باللغة اللاتينية ( أو الإغريقية ) وتم تحريف الأسم بعد ذلك إلى كافالا " التى حرفت بدورها لتطلق بالعربية " قولة " ، وهى تقع على بعد حوالى ٨٠ كيلومتراً من مدينة " سالونيك " و ٣٨٠ كيلومتراً من مدينة " استانبول " التى كانت عاصمة للدولة العثمانية إبان مجدها الغابر وكانت تعرف وقتها باسم " الأستانة " .

ولد " محمد على " فى وقت كانت فيه الدولة العثمانية هى أقوى دول العالم حيث امتدت أملاكها عبر ثلاث قارات هى أوربا وأسيا وأفريقيا ، وعلى الصعيد الأوربى فقد امتد سلطانها إلى وسط أوربا بما فى ذلك دول البلقان اليونان وألبانيا وبلغاريا ويوغوسلافيا ورومانيا وأيضاً دول المجر وتشيكوسلوفاكيا وبعض أجزاء من النمسا ، وقد أطلق على هذه البلاد " الروملى " أى بلاد الروم حيث إنها كانت خاضعة للدولة الرومانية زمنا طويلاً قبل أن يضع العثمانيون أيديهم عليها .

ومن بين هذه المناطق الخاضعة للسيطرة العثمانية قرية قولة الصغيرة التى تتميز مبانيها الصغيرة بالجمال والدقة والتناسق ، وهى قرية تقع أجزاء كبيرة منها فى البحر الذى يعد أحد موارد الرزق الأساسية لسكانها البسطاء ، وفى هذه القرية الصغيرة تمت زراعة أنواع رائعة من الأزهار والأشجار مما أضفى عليها طابعاً خاصاً ، وإلى جانب ذلك انتشرت قطعان الماشية ترعى عبر المساحات الكبيرة من الأعشاب الخضراء المنتشرة فى السهول وفوق التلال .

فى دار " جنتكمـان " ولد " محمـد على وهى عبـارة عن بيت بسيط هادئ أقـيم على إحدى الروابى المنتـشرة فى القـرية ، ويجمع المنزل بين الطرازين التركى واليونانى المنتشر فى بلاد الجنوب ، ومن الجدير بالذكـر أن هذه الدار مازالت قائمـة حتى يومنا هذا فـقد اهتم عدد من اليونانيين الذين عـشقوا مصر بها فـقاموا بترميمـها وتركها على نفس الصورة التى كانت عليها يوم ولد محـمد على ، كما أقاموا له تمثالاً فى الساحة الواقعة أمام تلك الدار .. كان أهل القرية يعيشون على إحـدى حرف أربع هـى : الصيـد والتـجارة والزراعـة والرعى ، وبسبب موقع مدينة " قولة " بعيداً عن مـركز السلطة فقد كثرت بها عمليات السرقة وقطع الطريق ، كما تعرضت لقيام العديد من الثورات والانتفـاضـات ضد الولاة بسـبب الظلم والضرائب البـاهظة ، وكانت الثورة الفرنسيـة قد اندلعت وامتد لهيبـها إلى كل أنحاء أوربا وصار الجميع يحلمون بتطبيق مبـادئ تلك الثورة من حرية وإخاء ومساواة رغمَ أنها لم تحقق فى فرنسا إلا بعد سنوات طويلة من قيام الثورة .

وكان يـقوم بأعـمال الحـراسة وتأمين الطرق فى هذه المنطقـة من جنوب اليونان رجل يدعى " إبراهيم أغا " الذى كان رئيساً للحرس ، وقد رزق الشيخ " إبراهيم أغا " بسبـعة عشر ولداً لم يعش منهم إلا أصغرهم الذى أطلق عليه اسماً مركباً هو " محمد على " .

ويروى أن أم " محـمد على " ذهبت خـلال شهور حـملها به إلى عرافة يونانيـة شـهيرة فى قولة فتنبـأت لها بأن يكون طفلها المنتظر

حاكماً عظيماً وأنه سوف يبلغ ذروة المجد والقوة ، ويقال إن الأم كانت تردد هذه النبوءة على أسماع طفلها الذى نشأ ذكياً طموحاً يسعى دائماً إلى المعرفة وإلى اكتساب المزيد من الخبرات المفيدة ، وأن هذه النبوءة تحولت بداخله إلى هدف لابد من تحقيقه .

**العزيمة الجبارة:**

فى البداية كان طفلاً مدللاً عاش فى رغد وهناء مما جعله هدفاً لسخرية أقرانه من الأطفال ، ولكن الأمور انقلبت رأساً على عقب عندما توفى الوالد " إبراهيم أغا " و " محمد على " مازال طفلاً صغيراً فكفله عمه " طوسون " وأدرك الفتى مدى المصاعب التى سوف يواجهها إذا ما ترك نفسه هكذا ، فعمد إلى تقوية جسده وتدريب إرادته على التحمل الشاق ، فراح يصوم أياماً كثيرة ويؤدى التدريبات العملية الشاقة ويظل مستيقظاً أياماً ، حتى تمكن بعد فترة أن يصبح أكثر من ند لزملائه وأن يتغلب عليهم فى المنازلات التى كانت تدور فيما بينهم .

ومن الحكايات الهامة التى تدور حول " محمد على " وتدل دلالة قاطعة على ماكان يتمتع به من عزيمة خارقة وإرادة جبارة لا تعرف المستحيل أنه دعا زملاءه إلى التحدى فى مجال التجديف ، ووقع اختيارهم على إحدى الجزر الصغيرة الواقعة بالقرب من الشاطئ ، وراح الجميع يجدفون بقوة ، ولكنهم ماكادوا يفعلون حتى هبت عاصفة عاتية جعلتهم يتراجعون تباعاً خشية العواقب ، واحد فقط هو

الذى ظل ممسكاً بمجدافيه بقوة وعناد حتى وصل إلى الجزيرة بعد أن لقى المصاعب والأهوال ، ويقول : " محمد على " ، عن هذه الواقعة التى جعلته زعيماً لرفاقه :

( ولما أدركت الجزيرة وجدت جلدى قد تسلخ ولكننى كنت مصمماً على تحقيق أمنيتى مهما اشتدت المحن ، وبهذه الطريقة مضيت فى تنمية قواى البدنية والعضلية ) .

ومن المعروف أن " محمد على " كان من خيرة الفرسان الموهوبين الذين يحسنون قيادة الخيول والتعامل معهم ، وفى هذه الفترة من حياته كانت أحلام الزعامة والسلطان تداعب خياله الذى كان يتجه تلقائياً صوب مدينة الأستانة مركز السلطان ويحلم بدخولها سلطاناً متوجاً ، وربما يفسر لنا ذلك لماذا تقدم "محمد على " تجاه " الأستانة " ، عندما حكم مصر والشام وحقق انتصاراته الخالدة ، فقد كان كل ذلك خطوة فى سبيل تحقيق حلمه الأكبر الذى لم يتحقق .

واصل "محمد على " تدريباته الشاقة على مختلف أنواع الأسلحة قديمها وحديثها ، وقد اتيحت له الفرصة لخوض غمار التجارب العملية الصعبة عندما تولى عمه " طوسون" ، مسئولية الأمن فى البلاد خلفاً لوالده "إبراهيم أغا" حيث كثرت الثورات والاضطرابات بالإضافة إلى ذلك فقد كثرت عمليات القرصنة فى بحر إيجه ، وعندما صدرت الأوامر إلى "طوسون" بتعقب القراصنة والقضاء عليهم قام بتجهيز حملة من أفضل جنوده ، ووضع على رأسهم ابن

أخيه الشجاع " محمد على " الذى اشتهر بالجراءة والفروسية والقدرة على القيادة ، وقد وافق حاكم قولة على هذا الاختيار ومنح " محمد على "، رتبة ملازم تحت الاختبار ، وأصبح بذلك ظابطاً فى جيش السلطان وهو حلم بعيد المنال للطبقات المتوسطة والدنيا من الشعب .

## من نجاح إلى نجاح :

وكانت تلك هى أولى مهام "محمد على " وكان عليه أن يبذل أقصى جهده مستعيناً بما طبع عليه من شجاعة ودهاء ، وكان الحظ إلى جانبه عندما نجح فى الاهتداء إلى مقر القراصنة والقبض عليهم والاستيلاء على سفنهم وعن ذلك يقول "محمد على ":

( أما أنا فلم يكن فى وسعى أن أشتهى خيراً من ذلك ، فما كان الأمر يصدر إلى حتى خرجت حالاً للبحث عن القراصنة ، فهدانى الحظ إلى مقرهم ، وبعد ما تعقبتهم مدة غير طويلة وفقت إلى اعتقالهم بسفنهم وهم أحياء فكوفئت على ذلك .. والتحقت ظابطاً فى الأسطول العثمانى برتبة ملازم أول ، وكنت يومئذ فى العشرين من عمرى ، غير أن ترقيتى السريعة أثارت حسد الكثيرين ) .

وقد تزوج " محمد على " من ابنة حاكم قولة ( أو ابنة أحد أصدقائه المقربين فى رواية أخرى ) ، وأنجب منها ابنه الأكبر " إبراهيم" فى سنة ١٧٨٩ ثم "طوسون" فى سنة ١٧٩١ ثم "إسماعيل" وغيرهم كثرين .

وإراء ضـالة مرتبـة كضابط فى الجـيش . وكـعادة الكـثيـرين من مـوظفى الدولة اضطر "مـحمـد على" إلى القـيام ببـعض الأعمـال التجارية وخاصة تجارة الدخان التى حقق منها بعض المكاسب .

وعقب نـجـاحه فى القـضاء على التـمرد فى بعض المناطق ألحـقه الحاكم بوظيفة مساعـد لقـائد حرس قصره ومنـحه رتبـة يوزباشى ( نقيب) ، وبعـد وفاة قائد الحـرس حلّ " محمـد على " محله وتمت ترقيـته إلى رتبـة صاغ ( رائد ) ثم تطورت الأحـداث بسرعـة لتهئ الفرصة لمحمـد على كى يحقق حلمه بعيداً بعيـداً عن وطنه وبالتحديد على أرض مصر .

**الحملة الفرنسية على مصر :**

كانت مصر تعتبر من أهم الأقاليم الخـاضعة للدولة العثمانية نظراً لموقـعها الفـريد ولمكانتـها السـامية بين دول الـعالم وخاصـة الدول العـربية والإسلامـية ، وفى سنـة ١٧٩٨ قام الفـرنسيون بـإرسال حملتهم الشـهيرة على مصر بقيـادة "نابليون بونابرت" مـما هدد بضرب المصالح العـثمانية فى الشرق ، فأمر السلطـان العثمانى كل منطقة خاضعة لسلطانه بتقـديم عدد من خيرة جنودها لتكوين جيش يتم إرساله إلى مصر لطرد الفرنسيين منها .

وكان على منطقة قـولة أن تقدم فصيلة من ٣٠٠ جندى مـجهزين بالإسلحة والعتاد ، وكان على رأس هذه القوة " على أغا " ابن حاكم قولة وكان "محـمد على " نائباً ومستشـاراً له ، ومن إحدى القواعد

البحرية العثمانية في بحر إيجه تحركت سفن الأسطول العثماني حاملة الجنود والعتاد إلى مصر

في هذه الفترة كان الفساد والضعف والانحلال قد بدأ يستشرى في جسد الامبراطورية العثمانية التي أطلق عليها ( رجل أوربا المريض ) . وكانت هناك العديد من القوى التي تعمل على القضاء عليها وتدميرها تماماً وكان غزو نابليون لمصر هو انعكاس لما أدركه من ضعف العثمانيين الذين فقدو العديد من أملاكهم في وسط آسيا وفي أوربا ، وتمكن نابليون من دخول القاهرة بعد هزيمة الأمراء المماليك ، فأشاع الذعر والرعب بين المصريين حيث قتل منهم الكثيرين ، ثم رحل إلى فرنسا لسوء الأحوال هناك وترك قيادة الحملة للقائد " كليبر" .

في هذه الأثناء كان العثمانيون هم أصحاب السلطة الرسمية على مصر ، أما أصحاب السلطة الفعلية فكانوا هم المماليك ، فبعد أن نجح العثمانيون في هزيمة المماليك وقتل قائدهم " طومان باي" سنة ١٥١٧ ظل المماليك في موقع القيادة بعد أن تعدلت أسماؤهم وألقابهم من السلطان إلى شيخ البلد ، وعرفت طبقة " المماليك البكوات " ، الذين كانوا أصحاب القيادة والسلطة الفعلية في البلاد وعاني المصريون الكثير من ظلمهم ، وكانوا شديدي التنازع فيما بينهم كعهدهم دائماً بالإضافة إلى ولعهم الدائم بتدبير المؤامرات والتحريض على الفتن وتأليب الشعب على حكامه من العثمانيين .

ومن أهم المحـاولات الجريئـة من المـماليك للانفـراد بحكم مـصـر محـاولة "على بك الكبير" ، الذى كـان شيخاً للبلد ، واسـتغل تورط الدولة العثمانـية فى حروبها مع روسيا وقام بطرد الـوالى العثمانى وأعلن استقلال مصر عن الدولة العـثمانية ثم توجه إلى الشام وأعلن ضمهـا إلى دولته كما أعلن سـيادته على الجزيرة العربيـة ولكنه قتل غيلة ، وعادت مصر للسيادة العثمانية مرة أخرى .

وخـلال الفـتـرة بين عـامى ١٥١٧ -١٨١١ ، كـانت الاضطرابات والحروب لا تتوقف بين العـثمانيين والمـماليك وكـان الشعب المصرى هو الضحـية فى هذا الصراع ، بالإضـافة إلى ذلك فقد كـان الصراع بين الأمراء المـمـاليك أنفســهم رهيباً قـتل فيـه الكثيرون وكـان الأمر يشبه الحـرب الأهلية إلى حد بعيـد .وفى الفترة السابقـة على الحملة الفرنسيـة تعرضت مصر للعديد من الـقلاقل والاضطرابات الشديدة ووقعت العـديد من الحروب الأهلية والحـرائق وعاشت البلاد فـترات عصـيبة فـانتشـرت المجاعات وعمّ الكسـاد والخراب والدمـار خلال سنوات طويـلة ، وفى سنة ١٧٨٥ انتـشــر الطاعـون وجـف النيل ووصلت البلاد إلى حالة سيئة للغـاية وكان الشعب المصرى قد ضاق ذرعاً بكل من المـماليك والعثمانيين وراح يتطلع إلى سبيل الخلاص .

وعندمـا وصل نابليون إلى مـصر كـان مقـتنعاً بأن المـمـاليك هم أصحاب السلطة الفعلية فى مصر فأخذ يستميلهم إليه .

وعندمـا وصلت القوات العـثـمانيـة إلى مصـر قرر " على أغـا "

التنازل عن القيادة لنائبة "محمد على ". الذى خاض عدة معارك ضارية ضد الفرنسيين أبلى فيها البلاء الحسن ، وبصفة خاصة فى معركة الرحمانية ، وقد اضطر الفرنسيون للرحيل عن مصر عقب تدمير الأسطول الفرنسى فىأبو قير بواسطة الاسطول البريطانى .

**محمد على وحكم مصر :**

كان انسحاب الفرنسيين من مصر فاتحة خير لمحمد على ، فقد اشتهر بين العثمانيين كما عرفه عامة الشعب من المصريين كقائد شجاع يتمتع بقدرة قتالية عالية ، وبعد جلاء الفرنسيين توجه قائد الأسطول العثمانى إلى " خسرو باشا " والى مصر فى ذلك الوقت حيث قدم إليه " محمد على " وأثنى على شجاعته وبلائه الحسن فى المعارك التى خاضها ضد الفرنسيين ، فقبله خسرو ضمن قوات الفرقة الألبانية المكلفة بحماية مصر وأعلن ترقيته إلى رتبة قائمقام ( عقيد) .

ويواصل "محمد على " صعوده السريع ويحصل على رتبة ( اللواء ) وهو يناهز الحادية والثلاثين من عمره .

فى عام ١٨٠٢ تحالف والى مصر " حسين قبطان باشا" مع " قبطان باشا" قائد الأسطول العثمانى ضد المما ك وكان هذا التحالف يهدف إلى القضاء على المماليك واستئصال شأفتهم تماماً من مصر ، ولكن بمجرد نزول جيش الأسطول العثمانى إلى الإسكندرية شعر المماليك بما يحاك ضدهم ونجح عدد كبير منهم

فى الفرار ووقعت بعد ذلك عدة مذابح مروعة للمماليك . وكان " محمد باشا " ، الذى تولى حكم مصر مثالاً للعنف والدموية ولكن العنف لم يتوقف ، فقد كان أمراء المماليك يعتصمون بالوجه القبلى ويشنون الهجمات ضد العثمانيين بلا انقطاع ، وعمّت الفتن والاضطرابات أنحاء البلاد .

وكان " محمد على " يراقب كل ما يحدث فى ذلك الوقت وهو يعيد حساباته ألف مرة وينتظر اللحظة المناسبة ليبدأ العمل ، وقد اتخذ موقف الحياد المطلق تجاه الجميع ولم يبد أى رد فعل حتى ذلك الوقت ، ولكنه حرص دائماً على أن يواسى الضعيف ويبدى للشعب حبه وتعاطفه فى محنته القاسية ،ويوطد صداقته بكل الأطراف فأحبه الجميع بما فيهم المماليك أنفسهم !

دلت تصرفات "محمد على " فى تلك الفترة الحساسة على عمق نظرته للأمور وحدة ذكائه ودهائه الشديد ، كان يتواضع للعلماء وهو يعلم مكانتهم الرفيعة فى قلوب الشعب ومدى تأثيرهم على الرأى العام ، كما كان يتأدب مع وجوه الناس ويعاونهم .

وبدأت خطوت "محمد على" ، الفعلية لتحقيق أحلامه عندما اندلع القتال الضارى بين المماليك فصعد محمد على إلى القلعة ووجه مدافعها نحوهم ودك مواقعهم ، وفى سنة ١٨٠٤ تولى "أحمد باشا" ولاية مصر ولكن الأمور ازدادت سوءًا وأحاط الأمراء المماليك بالقاهرة وخربوا أحياءها ، فخرج إليهم " محمد على "

فحاصرهم وهم غافلون وأوقع فيهم القتل حتى هزمهم ، ولكن الاضطرابات استمرت فى العديد من الجهات .

صدر فرمان بتوليه " محمد على " على جدة فأظهر رضاه ، ولكن الجنود الأتراك والشعب المصرى أعلنوا عدم رضاهم عن هذا الفرمان وطالبوا ببقاء "محمد على " فى مصر حيث كان هو أملهم ورجائهم فى الخلاص من هذه الفتن والاضطرابات التى لا تتوقف .

فكتبوا إلى الدولة يطلبون توليه " محمد على " حكم مصر فصدر الأمر العالى بتولية " محمد على" حكم مصر فى مايو سنة ١٨٠٥ الموافق شهر صفر عام ١٢٢٠ هجرية ، وهكذا احقق للشعب أمنية عزيزة المنال ووضع محمد على أقدامه على أول طريق المجد .

**عبقرية القائد :**

أثبت " محمد على " أنه أصلح وأفضل من يتولى حكم مصر فى ذلك الوقت الذى عمت فيه الفوضى وسادت الاضطرابات ، وقد اتخذ العديد من الخطوات التى تدل على عبقريته وبعد نظره كقائد ينشد الانطلاق بشعبه إلى آفاق جديدة ويضع بلاده فى مصاف الدول الكبرى ، بدأ عهده بالتصدى للاضطرابات الشديدة ا ى عصفت بالبلاد ومنذ زمن بعيد واستمال إليه قلوب المشايخ الكبار مثل عمر مكرم والشرقاوى والدواخلى كما كان يأخذ رأيهم ويستشيرهم فى كل الأمور الهامة .

اتخذ العداء بين المماليك و " محمد على " ، صورة سافرة . وفى سنة ١٨٠٦ قام المماليك بتوحيد صفوفهم تحت قيادة " شاهين بك الألفى " ، وانطلقوا من الصعيد لمهاجمة "محمد على "، واستطاعوا أن يلحقوا بقواته الهزيمة فى امبابة ثم انطلقوا إلى الوجه البحرى يدمرون ويخربون ، واستمرت الإضطرابات فترة من الزمن واستطاعت قوات "محمد على " أن توقف المماليك حيناً وتفشل فى بعض الأحيان وكان لابد من حل جذرى يكفل لمصر الاستقرار .

بالإضافة إلى ذلك كان " محمد على " يرى أن مصر تمتلك المؤهلات الكافية لتصبح دولة عظمى. من نهر عظيم يروى ملايين الأفدنة وزراعة مزدهرة وموقع رائع يتوسط العالم وشعب متحضر يتمتع بالذكاء والقدرة على الإنجاز ، وطقس بديع طوال العام ، وموارد بلا حدود تكفل قيام نهضة عمرانية وصناعية شاملة ، وكان " محمد على " يحرص دائماً على أن يعرف أخبار الدول المتقدمة وصور الحياة بها ويحلم بأن يوفر لمصر ولشعبها هذه الحياة الكريمة ، وأدرك بعمق نظرته أن العقبة الرئيسية التى تحول بين شعب مصر وبين تحقيق هذه الأحلام هى المماليك الذين يعملون على عرقلة كل محاولة للتقدم ولإصلاح ، واتخذ قراره الحاسم وهو ضرورة التخلص من المماليك .

**مذبحة القلعة :**

وكان الحظ فى صف" محمد على "، فقد توفى خصمه اللدود

" عثمان بك البرديس "، في أواخر عام ١٨٠٦ . وفي يناير من عام ١٨٠٧ توفي " الألفي بك " ، وقد تمكنت قوات " محمد علي "، من هزيمة القوات الإنجليزية التي حاولت احتلال مدينة رشيد في مارس عام ١٨٠٧ ، وتحولت الأمور بعد ذلك تحولاً كبيراً حيث نجح " محمد علي " ، في عقد الصلح مع الإنجليز وبمقتضى هذا الصلح تم الإفراج عن الأسرى الإنجليز ، واتفق الطرفان على أن يقوم " محمد علي " برعاية المصالح الإنجليزية بمصر ، وبذلك وجه ضربة شديدة للمماليك الذين كانوا هم الأصدقاء التقليديين للإنجليز .

وبعد الاتفاقية استطاع " محمد علي "، الحصول على مكاسب تجارية كبيرة ملأت خزائن الدولة بالأموال واستطاع أن يدفع مرتبات الجند المتأخرة ، وبدأت أحواله في التحسن وعاد يفكر في أمر المماليك الذين أصبحوا يعملون في الخفاء ويحيكون المؤمرات للتخلص منه والاستيلاء على حكم مصر .

وضع " محمد علي " ، خطة محكمة للتخلص من المماليك حيث بدأ يستعين بزعماء المماليك ويظهر لهم المودة والتقدير ، وبعد جهود كبيرة تمكن من استقدام " شاهين بك " ، زعيمهم ومنحه قصراً في القاهرة ليقيم به وخصص له إيراد إقليم الفيوم وثلاثين قرية من إقليم المنيا ، وقدم إليه العديد من الامتيازات .

وبهذا الأسلوب الذي اتبعه " محمد علي " ، مع عدد كبير من

زعماء المـماليك استطاع أن يهدئ من ثوراتهم وأن يستعين بهم فى تنفيذ خطة لتنمية البلاد ، وكان يعلم جيداً أن هذه الهدنة مؤقته وأنهم ينتظرون الفرصة المناسبة للانقضاض عليه والاستيلاء على الحكم .

ولكن الأمور لم تستقر طويلاً حيث دارت بين الجانبين عدة معارك وكانت نتائجها لصالح "محمد على "، الذى استطاع بعد جهد كبير أن يخضع الصعيد معقل المماليك لحكمه وطلب من زعمائهم القدوم إلى القاهرة والإقامة بها ، وبعد جهد كبير تمكن من إقناع عدد كبير منهم بالحضور حيث أغدق عليهم محمد على ، من خزائن الدولة .

وقد ظل " محمد على " يتحين الفرصة ويراقب أعداءه المماليك بحذر شديد وقرر أن يعجل بضربته حينما علم بأن المماليك يدبرون مؤامرة ضده مع سليمان باشا والى سوريا وذلك فى فبراير من عام ١٨١١ ، فأبقى الأمر فى طى الكتمان .

فى هذه الأثناء صدرت الأوامر لمحمد على من الباب العالى فى الاستانة بأن يرسل حملة لتأديب الوهابيين فى الجزيرة العربية ، فقام " محمد على "، بإعداد هذه الحملة خير إعداد وجعل ابنه " أحمد طوسون" قائداً عليها ، وقرر أن يقيم احتفالاً ضخماً فى القلعة بهذه المناسبة فى الأول من مارس وكان موافقاً ليوم الجمعة .. ودعا إليه كبار رجال الدولة والموظفين والأعيان كما دعا جميع الأمراء والبكوات من المماليك ، وكان عدد المدعوين يزيد عن عشرة آلاف شخص .

وعندما سار الموكب المهيب متجها صوب أبواب القلعة بدأ الجميع في التحرك ومنهم المماليك ، وعند أحد الأبواب صدرت الإشارة للجنود فأقفل الباب في وجه المماليك وكان خلفهم فرقة من الجنود المتأهبين ، وما هي إلا دقاق حتى انطلقت بنادق الجنود تحصد المماليك من كل اتجاه وهم محصورون بين الباب المغلق والجنود الذين أطلقوا بنادقهم ، كما انهالت الطلقات من أعلى .

وهكذا تمكن " محمد على " ، من القضاء على المماليك قضاءً تاماً .

**النهضة الكبرى :**

إن الحديث عن إنجازات "محمد على "، هو حديث طويل وممتع وسنكتفى هنا بذكر أهم إنجاراته التى وضعت مصر فى مصاف الدول الكبرى ، ولولا تكاتف الدول الأوربية ضد مصر لكان لها شأن آخر .

فعلى الصعيد الخارجى حققت القوات المصرية أروع الانتصارات على الوهابيين بالجزيرة العربية منذ عام ١٨١١ ، حتى عام ١٨١٩ كما قامت بفتح السودان ، وعندما استعان السلطان العثمانى " محمود الثانى " به لإخماد ثورة اليونانيين نجح فى تنفيذ المطلوب وحققت القوات المصرية انتصارات باهرة فى الفترة من عام ١٨٢٤ حتى ١٨٢٦ ، ولكن اتفاق الدول الغربية ( روسيا وفرنسا وانجلتر ) معاً ضده حرم محمد على من جنى ثمار انتصاراته الكبرى

وكما كـان متوقعاً فـقد ساءت العلاقات بين " مـحمد على " وبين السلطان العثـمانى ، وراح " محمد على " يقـاتل الجيوش العثـمانية واستطـاع أن يحقق المزيد من الانتـصارات الكبـرى بواسطة جيـشه القوى المدرب تدريبـاً حسناً بواسطة عدد من الخبـراء الغربيين وعلى رأسهم الكولونيل الفـرنسى "سيف" الذى أسلم وأطلق عليه اسم " سليمان باشا الفرنساوى " ، وكـان قائد جيوش " محمد على " هو ابنه " ابراهيم باشا" ، وقد حققت الجـيوش المصرية انتصاراً باهراً على قوات السلطان العـثمانى فى سنة ١٨٣٩ ، فى معـركة ( نزيب ) أو ( نصيبين ) ، وهدد بذلك العاصمة الاستانة ذاتها ، مـما دعا الدول الأوربيـة إلى الوقوف فى وجـهه لوقف فـتوحـاته ، وتم السمـاح له بحكم مصر والسودان فقط .

أمـا على الصعـيـد الداخلى فقـد أقـام " محـمـد على " ، نهضـة حـضارية رائعـة ، فقـد أنشأ عـدداً كـبيـراً من المدارس المختلفـة من ابتدائية وثانوية وعليـا وصناعـية وغـيرها ، كـما أرسل العـديد من البعـثات إلى الدول الأوربية لتـكون طليعة للتـقدم والحضـارة بمصر ومن أهم أعـضـاء هذه البـعـثـات " على مـبـارك " و " ورفـاعـة الطهطاوى " ، كما قـام بشق الطرق والترع والمصارف وقام بتشـييد القناطر الخيرية وأصدر أول جريدة رسمية لمصر بالعربية والفرنسية هى " الوقائع المصرية " ، التى مازالت تصدر حتى اليوم .

توفى مـحمـد على فى ٢ أغـسطس عـام ١٨٤٩ ، ودفن بمسـجـده بالقلعة ..

★ ★ ★

# بيتهوفن

**أعظم الموسيقيين :**

من الأقوال التى تناقلها العالم أن الموسيقار الألمانى العظيم " لودفيج فان بيتهوفن " ، هو أعظم موسيقى عرفه العالم سواء من السابقين أو اللاحقين !! ويالها من مكانة خالدة ، استطاع أن يذهل مستمعيه بروعة عزفه على البيانو وهو مايزال طفلاً صغيراً وبلغ فى روعة عزفه وجمال الحانه حد الكمال الذى لم يبلغه موسيقار قط ، ترك أثراً عميقاً فى كل الموسيقيين من بعده ، ويكفى أنه كان من أهم أسباب انتقال الموسيقى من مرحلة الكلاسيكية إلى مرحلة الرومانسية ، جعل للبيانو مكانة مميزة بين الآلات الموسيقية .

مهد بعبقريته الفذة الطريق أمام ظهور عدد كبير من أعظم الموسيقين فى العالم مثل فاجنروشوبرت وبرامز وتشايكوفسكى وغيرهم من أعلام الموسيقى الخالدين .

حقق نجاحاً رائعاً وهو شاب صغير دون العشرين من عمره وطغت شعرته على أساتذته من كبار الموسيقيين ولكن العجيب فى أمر "بيتهوفن " أنه قام بتأليف أعظم ألحانه وهى السيمفونية

التاسعة بعد أن أصيب بالصمم التام !! ويالها من مفارقة !! أعظم موسيقار فى التاريخ يؤلف موسيقاه الخالدة دون أن تتاح له فرصة سماعها !!

ويعتبر " بيتهوفن " ، شخصاً غريب الأطوار شديد العصبية حاد المزاج سريع التأثير ، كما عُرف بسوء معاملته للناس وخشونته ، وبالإضافة إلى ذلك عُرف بالفوضى وغياب النظام فى حياته تماماً وكان يلقى بأشيائه فى حجرته بدون ترتيب ، ويرفض أن يقوم أحد بتنسيق غرفته التى هى محرابه المقدس .

ومن أجل إبداع هذه الألحان الخالدة كان ينسى نفسه ويترك طعامه بالأيام دون أن يمسه ، وعندما يشعر بالجوع الشديد يكتفى بالتهام قطع من الخبز الجاف .

وقد ازدادت عصبيته وخشونته كثيراً بعد أن فقد سمعه تماماً وكأن يتجنب الحياة الاجتماعية ، عاش فى قلعة حصينة معزولة عن الناس عدة سنوات عانى فيها أشد المعاناة وكثرت آلامه وأمراضه حتى مات تعيساً معذباً .

عندما سأله يوماً أحد النقاد الفنيين عن أعماله الفنية الصعبة على فهم العامة قال له بيتهوفن :

( إن هذه الموسيقى ليست من أجلك ، إنما لأجيال من بعدك ) .

**تلميذ هايدن :**

في أسرة فقيرة وفي أحد البيوت الريفية البسيطة بمدينة "بون" الألمانية ولد " لودفيج فان بيتهوفن " ، في السادس عشر من ديسمبر عام ١٧٧٠ وأنجبت أمه " ماريا ماجدالينا" سبعة أبناء لم يعش منهم سوى ثلاثة وكان " بيتهوفن " هو ثاني الأبناء الثلاثة .

كان أبوه يحترف الغناء الديني والعزف في الكنائس الصغيرة ، وكان هذا الرجل هو علة شقاء الأسرة التعيسة وبصفة خاصة ابنه " بيتهوفن" المرهف الحساسية ، فقد أدمن الوالد الخمر وراح يقضي معظم وقته في الحانات الرخيصة ويعود في منتصف الليل إلى المنزل ليحطم كل ما أمامه بلا رحمة وسط خوف أطفاله التعساء .

ولكن هذا الوالد السكير العربيد كان له دور إيجابي في حياة طفله الحساس " بيتهوفن " ، يعادل دوره السلبي فقد راح الوالد يلقن ابنه دروساً في العزف على البيانو ، لم يفعل الوالد ذلك من أجل الارتقاء بمواهب ابنه الصغير ، بل لكي يساعده في عمله وفي الحصول على قوت يومه ، ورب ضارة نافعة فقد كان الطفل مؤهلاً بطبيعته ليكون موسيقاراً فذاً ، ولم يكن ينقصه سوى وضع قدمه على بداية الطريق ، وهاهو والده قد تكفل بالخطوة الأولى وبدأت رحلة " بيتهوفن " في عالم الموسيقى والإبداع .

كان " بيتهوفن" في الخامسة من عمره عندما بدأ والده يلقنه بقسوة شديدة أول دروس العزف على البيانو ، كان الوالد يستخدم

العصا والسوط فى تلقين الطفل المسكين دروسه ، ومن حسن الحظ أن الطفل لم يكره البيانو كما هو متوقع من طفل يتم إرغامه على تعلم شيء قسراً ، ولعل ذلك يرجع كما قدمنا إلى الموهبة المتأصلة فى روح الطفل ، وبالإضافة إلى ذلك فقد كانت الموسيقى وسيلة رائعة يقدم من خلالها "بيتهوڤن" ، لتفريغ شحنات انفعالاته الجبارة خلالها .

التحق " بيتهوڤن" بالمدرسة وهناك درس قواعد الموسيقى والهارمونى كما درس العزف على أساتذه آخرين ، وظل يتقدم بسرعة هائلة حتى فاق فى براعته عزف والده نفسه وهو لم يكد يبلغ التاسعة من عمره ، وفى هذه المرحلة كانت براعة بيتهوڤن الفائقة فى العزف على البيانو حديث أهل مدينة بون ، وتوقع الجميع لهذا الطفل الهادئ الصامت دائماً مستقبلاً رائعاً .

لَم يتوقف " بيتهوڤن " ، عند هذا الحد ولم يكتف بما بلغه من براعة فائقة فى العزف على البيانو بل إنه بدأ يؤلف ألحاناً جديدة وأنغاماً رائعة ، وهذه إحدى سمات العبقرية الأصيلة حيث تظهر مواهب صاحبها فى سن مبكراً جداً .

كانت شهرته الفائقة وبراعته المنقطعة النظير هى السبب فى إلحاقه بالعمل فى بلاط مدينة بون كموسيقى متميز ، ومن هناك تم تحقيق رغبة "بيتهوڤن " فى الرحيل إلى عاصمة الموسيقى والفن فى أوربا وهى مدينة "ڤيينا" ، كان " بيتهوڤن" ، يحلم بلقاء الموسيقار العظيم

" موتسارت" والموسيقار الخالد " هايدن" ، ويستكمل على أيديهما دراسته الموسيقية .

ومن أهم المؤثرات التى تركت فى نفس " بيتهوڤن" ، صدى عميقاً وفاة والدته بعد صراع طويل مع المرض ، وقد حزن لذلك حزناً شديداً وازداد صمتاً واكتئاباً .

وبأذن الموسيقار الحساسة أدرك الموسيقار المبدع " موتسارت" أنه أمام عملاق فى الموسيقى وإن كان ما يزال صغيراً جداً وقال عنه :

( انتبهوا لهذا الشاب .. فسيفرض نفسه على العالم ، ويحمل الناس على التحدث عنه عما قريب ) .

وبالفعل صار " بيتهوڤن " ، حديث الدنيا كلها ، فقد أبدى براعة فائقة فى العزف على البيانو والكمان أيضاً ، وتم اختياره ضمن الفرقة الموسيقية لامبراطور النمسا .

أما الموسيقار " هايدن " ، فقد أبدى إعجابه الشديد بتلميذه الألمانى " بيتهوڤن" ، وبعد فترة ظن " بيتهوڤن أن " هايدن" ، يهمله فقاطعه ، ورغم ذلك فقد قال " هايدن "، فيما بعد عن تلميذه الخالد بيتهوڤن :

( بين مئات السيمفونيات التى كتبت ، بما فى ذلك التى وضعتها أنا ، لم أجد سيمفونية واحدة تستطيع أن تقف منافساً لأعمال لودفيج فان بيتهوڤن وسيمفونياته التسع ) .

**أعمال خالدة :**

يقسم المؤرخون الحياة الفنية للموسيقار " بيتهوفن" ، إلى ثلاث مراحل :

**المرحلة الأولى :** برع فيها كعازف متميز على البيانو ، وقد قام بوضع " السوناتا" وكان ما يزال موسيقاراً صغيراً لم يحظ بالشهرة الهائلة التى واتته بعد ذلك .

وفى عام ١٨٠٠ وضع أولى سيمفونياته وبدأ المنتجون يعرفونه .

**المرحلة الثانى :** كانت بين عامى ١٨٠٢ ، ١٨١٤ وفى هذه المرحلة أصبح اسم " بيتهوفن " ، معروفاً فى كل أنحاء أوربا وطبقت شهرته الآفاق ، وجرى المال وفيراً بين يديه حيث أقام عشرات الحفلات الموسيقية المفتوحة كما كان يبيع مقطوعاته للوسيقية الرائعة بمبالغ كبيرة ، وخلال هذه الفترة وضع " بيتهوفن"، أعظم أعماله مثل السيمفونيات الثمانية والعديد من الافتتاحيات بالإضافة إلى أوبرا " فيدليو" ، وأصبح الجميع يتهافتون على أعماله .

والمرحلة الثانية هى أخصب وأهم المراحل فى حياة " بيتهوفن" .

**المرحلة الثالثة :** وتعد مرحلة المعاناة الرهيبة والعذاب ، فقد توقف لسنوات طويلة عن تأليف السيمفونيات ثم كتب سيمفونيته التاسعة التى تعد أعظم أعماله على الإطلاق ولكنه لم يسمعها حيث كان قد فقد السمع بالكامل .

وتضم أعمال " بيتهوڤن" ، تسع سميفونيات ، ٣٢ سوناتا للبيانو ، ١٠ سوناتا للتشيلو والبيانو ، ١٠ سوناتا للكمان ، ٥ سوناتا للتشيلو ، ١٤ رباعى ، ١٥ كونشرتو للبيانو ، كونشرتو للكمان .

**قمة المعاناة :**

ذكرنا أن" بيتهوڤن " ، تعرض لألوان من المعاناة والآلام النفسية والجسدية ، ولعل هذا قدر كل فنان حساس فكلما ازدادت الحساسية كلما ازدادت المعاناة ، وكانت العلاقات العاطفية لبيتهوڤن تنتهى دائماً نهايات مأساوية ، أما مأساته الكبرى فهى معاناته مع الصمم حيث بدأت حاسة السمع تقل لديه تدريجياً وهو فى نهاية الحلقة الثالثة من عمره ، وفى أواخر الحلقة الخامسة من عمره كان قد فقد السمع إلى الأبد فانسحب من الحياة الاجتماعية واعتزل الناس تماماً .

وفى أواخر أيامه أصيب بالعديد من الأمراض وظل راقداً فى فراشه عدة أشهر حتى توفى فى السادس والعشرين من مارس عام ١٨٢٧ .



# راسبوتين

**القوة الطاغية :**

من أعجب الشخصيات التى حيرت العالم وأثارت دهشته شخصية الراهب الروسى العجيب "جريجورى راسبوتين " ذلك الفلاح السيبيرى البسيط الجاهل الذى تمكن بدهائه وبنظراته الساحرة من الدخول إلى قصر قيصر روسيا ليصبح هو سيده الفعلى والمتصرف فى أمور هذه الامبراطورية العريقة !!

اتبع " راسبوتين" ، منهجاً عجيباً للغاية للتخلص من الخطيئة وذلك عن طريق إغراق الجسد فى الملذات والشهوات بلا حدود حتى يمل الإنسان من الخطيئة فيتطهر جسده وتسمو روحه ، وقد تمكن هذا الشيطان المقدس ( كما كان يطلق عليه ) ، من تلويث أعراض عشرات الفتيات والسيدات فى روسيا بزعم تطهيرهن من الخطايا ، والعجيب أنه كان معبود النساء رغم كل مباذله ..

كان يتمتع بقوة بدنية هائلة مكنته من تحمل آلام مروعة بعد أن دس له أعداؤه السم كما سنرى بعد قليل ، وكانت تلك القوة البدنية والشخصية المؤثرة والمتسلطة والذكاء الشيطانى هى العوامل التى

مكنتـــه من الوصـــول إلــى هذه الدرجــة الرفـــيـعـة داخـل البــلاط الامبراطورى .

أما عـملية اغـتيـاله فهى من أكـثر الحكايات إثـارة وتشويقـاً وقد استغـرق الرجل زمنا طويلاً قبل أن تفارق جـسده الحياة واسـتخدم أعداؤه عدة وســائل تكفى لقتل عشرة رجال أشــداء ، ورغم ذلك فقد كانت هناك مفاجأة قاسية فى انتظارهم بعد ذلك .

**سارق الخيول :**

ولد " جريجورى راسبوتين "، فى عام ١٨٧٢ ، فى سيبيريا كان والده مزارعاً بسيطاً ، وقد طبع الطفل منذ طفولته على الخبث والدهاء وعرف بالفجر والمجون ، اتهم فى شبـابه المبكر بسرقة الخيول حيث سجن فـترة ثم خرج لـيعيش حـياة التشــرد والضياع ، ولـكن عقله الشيطانــى هداه إلى حيلة بسيـطة يخدع بها الناس وهــى أن يصبح راهباً !!

قضـــى فى أحد أديرة ســيبـريا المنعزلة حـوالى سنة خرج بعـدها راهباً يدعو الناس ويبشر بتعاليم الإنــجيل ، ولكن هذا الراهب الفاجر لم يتبع الـطريق الذى اتبعه غـيره من الرهبـان ، بل اعتنق مـا يعرف بالمذهب ( الكالســتى ) الذى يقوم على إغـراق الجســد فى الشــهوات والملذات إلى الدرجـة التى يمل بعـدها الإنسان ويكـره الخطيئـة وهنا يتطهر جسده وتسمو روحه !!

كان " راسبوتين " دجالاً داعراً منحلاً كما هو واضح من المذهب الذى اعتنقه ، ولكنه حقق شهرة طاغية فى كل أنحاء روسيا ، بسبب ما كان يمتلكه من قدرات خاصة أحسن استغلالها جيداً للإيقاع بضحاياه وكان يتمتع بعينين تشعان بريقاً غامضاً يسلب الآخرين إرادتهم وكأنهم منومون مغناطيسياً ، كما كان يتمتع بجاذبية شديدة تؤثر على النساء خاصة .

ورغم جهله إلا أنه كان شديد الدهاء ، استطاع أن يستغل ما لديه من معلومات جمعها بطرق ملتوية فى أن يوهم ضحاياه بقدراته الخارقة على معرفة الأمور الغيبية وبإمكانية شفائهم من الأمراض المستعصية ، وبالإضافة إلى ذلك فقد كان يتمتع بقوة بدنية هائلة .

وبعد أن حقق هذه الشهرة الطاغية أصبح الطريق ممهداً أمامه لكى يحقق حلمه بدخول البلاط القيصرى ليصبح أحد أهم القوى المؤثرة فى السياسة الروسية .

**الراهب المقدس:**

تميز " راسبوتين " بمظهره الأشعث وقذراته البادية ولم يكن يهتم بهندامه ولا بنظافته ، له وجه شاحب وجبهة عريضة وشعر أسود مسترسل ولحية طويلة غير مهذبة ، أما أكثر ما كان يميزه فهو عيناه اللتان تشعان بريقاً عجيباً يكاد يسلب إرادة الآخرين ويشل قدرتهم ، وقد اشتهر " راسبوتين " ، فى أنحاء روسيا كراهب مقدس نجح فى شفاء عدد من أصحاب الأمراض المستعصية ،

وأشاع أتباعه أنه راهب مقدس وأنه مبعوث العناية الإلهية لإنقاذ البلاد ، كل هذه الدعاية كانت جزءًا من الخطة البارعة التى وضعها الدجال للدخول إلى بلاط القيصر .

ورغم كل ذلك فقد كان بوسع أصحاب النظرات الثاقبة والعقول النابهة أن يدركوا لأول وهلة ملامح الإجرام المرتسمة على وجهه ، وسمات القسوة والغدر فى عينيه ، وقد كان معظم الذين يتعاملون معه واثقين من كذبه ولكنهم كانوا يفقدون إرادتهم أمامه ويؤمنين على كل ما يقول !!

وعن طريق خطة جهنمية تمكن " راسبوتين " من دخول القصر .. فقد علم أن القيصره سوف تزور معبد العذراء فى قازان سراً وهى متنكرة حتى تبتهل إلى الله أن يرزق آل رومانوف بولد يرث العرش ، وعندما علم " راسبوتين" من جواسيسه أن القيصرة وصلت إلى بلدة قازان باسم مستعار ارتدى ملابس بالية وذهب إلى الكنيسة ووقف أمام الهيكل متظاهراً بأنه لا يرى القصيرة ورفع صوته بالدعاء للرب بإن يمنح آل رومانوف وريثاً للعرش ، وإنه يردد دعاء ملايين الروس المحبين لآل رومانوف .

وفى هذا الصمت الموحش والجو المليئ بالخشوع والرهبة ارتعدت القيصرة لدى سماع هذا الصوت الخشن العميق وتفاءلت خيراً بهذا الراهب الزاهد ، وتساءلت بينها وبين نفسها ترى من يكون هذا الرجل ؟

وفى هذه اللحظة استدار " راسبوتين" بهدوء وهو يرسم على صدره علامة الصليب ووجه إحدى نظراته المغناطيسية إلى القيصرة ثم انصرف دون أن ينطق بكلمة واحدة ، ارتعدت القيصرة أمام هذه النظرة العجيبة ، وصممت على أن ترى هذا الرجل مرة أخرى وهكذا نجح " راسبوتين "، فى خطته نجاحاً باهراً .

**فى بلاط القيصر :**

ظلت القيصرة تبحث عن " راسبوتين" ، فترة طويلة وهى لا تعرف مكانه حتى عثرت عليه أخيراً وعلى الفور أرسلت إليه تستدعيه ليقابلها فى القصر الامبراطورى ، ولم تكن تعرف أن هذا الرجل سيكون سبباً فى دمار آل رومانوف .

وكانت معجزات راسبوتين فى شفاء المرضى قد سبقته إلى القصر واستكمالاً لفصول مؤامراته الشيطانية توسل إليه أحد خدم القصر بالقرب من باب غرفة القيصرة أن يشفى ابنه المريض وأن يمنحه بركاته ، وكان هذا المشهد مؤثراً لدرجة أقنعت القيصرة بقداسة هذا الرجل وبإنه هو الذى أرسلته العناية الإلهيه لإنقاذ روسيا ، ولم تدرك الحقيقة الأليمة وهى أن هذا الرجل دجال محترف ، وكان الجميع قد سمعوا عن معجزاته فى وارسو عندما قام بشفاء عدد من الأطفال المصابين بالتسمم ، وقد تم له ذلك بمعاونة صيدلى صديقه يدعى " بارميف" ، الذى جهز له مادة مخدرة تسبب صفرة فى وجوه الأطفال وبرودة شديدة فى أطرافهم وتم حقن الأطفال

بهـذه المادة سـراً ، وعندمـا سـاءت أحـوالهم جـاء القـديس المبـارك لإنقاذهم حيث حقنهم بمادة أخرى تفسد مفعول الحقنة الأولى .

إن ما حدث يعـتبر معجـزة فى نظر الناس أما الحقيـقة فهى أن " راسبوتين" ، دجال مخادع .

وكان إعجاب القيصرة براسـبوتين عظيماً وإيمانها به بلا حدود ، وقد وعدها بحـمايتها من المؤامرات الكثيـرة التى تحاك ضدها والتى يعلم كل شئ عنها !! بل إنه أخـبرها أنه سيولد للقيـصر وريث ذكر يرث العرش .. وعندما تحـقق ذلك بعد شهور أصبحت القـيصرة تثق فى" راسبوتين " ثقة عمياء .

عندما طلبت القيصرة من " راسبـوتين"، الحضور لزيارتها اعتذر بمشاغله الـكثيرة ورعـايته لمصـالح فقراء روسـيا ، وغـاب عنها لمدة شهرين فكادت تجن ، وخلال هذه الفتـرة ولدت القيصرة طفلها الذى سيـصير وريث عرش أل رومـانوف ، وتحققت نبـوءة الدجال الذى رحل للتعبد فى سيبيريا !!

أرسلت القيصرة تستدعى " راسـبوتين " عدة مرات وهى تبشره بتحقق نبوءته ومولد طفل ذكر لآل روما نوف ، ولكنه أهمل الرد على رسائلهـا واستـمر فى معـبده يمارس شـهواته وملذاته مع أتبـاعه ، وعندمـا أرسلت إليـه تخبـره بأنهـا سوف ترسل إليـه وصـيفـتهـا لإحضـاره فخشى من افـتضاح أمـره ورحل إلى موسكو واستـقبله القيصر قائلاً :

أهلاً بمنقذنا ومرشـدنا الروحى .. إن مكانك هنا إلى جوارى فى القصر !!

ورغم تواضــعه الزائف فـإنه قبل العـرض الذى سعى إليـه طويلاً ودبر من أجله المؤامرات التى يعجز الشيطان ذاته عن تدبيرها ، وعند ذلك عرض عليه " راســبوتين" ، أن يرقى أحد أصدقـائه وكان يعمل موظفاً فى وزارة الداخلية ، وعلى الفور أصدر القيصر أوامره بترقية " بروتوبوف" ، وقـد أصــبح هذا الرجل الخطيـر فـيمـا بعـد وزيراً للداخلية ومن أكبر أعوان الشيطان .

بعدها أصــبح " راسبوتين " مقـيماً إقامــة شبه دائمة فى القـصـر وكانت سيطرته على مـقاليد الأمور تزداد يوماً بعـد يوم بفضل حيله الشيطانية وأصدقائه المنتشرين فى كل مكان .

وخلال السنوات التالية قتل عـدد من الرجال المخلصين لروسيا فى ظروف غامضة وثبت فيما بعد أن " راسبوتين"، وعصبته كانوا وراء هذه المؤامرات الدنيئة .

وهناك بعض الوثائق التاريـخية التى تدين " راسبـوتين"، وتؤكد عمله لمصلحــة الألمان ودفعه القـيصر إلى اتخاذ القـرارات التى تدمر روسيا ، ولا يتسع المجال هنا لذكر تفاصيل هذه المؤامرات .

وكما كــان " راسبوتين" ، يدعى شفـاء المرضى عن طريق حقنهم سراً ببعض العقاقير ثم معالجتهم بعقار مضاد فقد فعل ذلك مع ولى

العــهد الطفل المسكين .. وهكذا أصــبح راسبــوتين ، هو الوحيـد الذى لديه القدرة على شفاء ولى العهد من نوباته القاتلة .

وحاول الكثيـرون كشف ألاعيب " راسبوتين " ، ومخـازيه خاصة بعد أن اتسعت دائرة مـمارساته الشيطانية واستقطب عشرات النساء من الطبـقـة الراقيـة إلى مـذهبه الشـيطانى . ولكنه كـان دائمـاً لهم بالمرصاد ، وعندمـا حلت الهزائم بالقوات الروسيـة ازدادت المعارضة لهـذا الراهب الدجـال وأيقن عـدد مـن الروس المخلصين أن وراء كل هذه الكوارث الشيطان " راســبوتين " ، وعقدوا العـزم على التخلص منه مهما كلفهم ذلك !!

**القتل بمختلف الطرق :**

بلغ نفـوذ " راسبوتــين"، وطغيانه حـداً رهيبـاً فى سنة ١٩١٦ ، وأدرك الجمـيع أن هذا الرجل يقف وراء هذه الكوارث المتلاحـقة التى حاقـت بروسيا وفـشلت بعض المحـاولات لاغتـيال " راسبـوتين"، أشـهـرها محاولـة فتاة روســية باسلة تدعى " أولجـا بوير" ، حيث طاشت الرصاصات التى أطلقـتها صوب راسبـوتين .رجل واحد كتب له شــرف قـتل هـذا الشــيطان وهو نبـيل روسـى يـدعى " البـرنس يوسوبوف " ، كـانت تربطه صداقة قـديمة براسبـوتين ، فاتصل به ودعـاه إلى زيارته فى منـزله ، وبعـد حـديث ودى طويل قـدم إليـه البرنس بعض الكعك المسموم وهو يرتعد خوفاً ، ولكن " راسبوتين" التهم الكعكة الأولى الـتى تحتوى على سم سيـانيد البوتاســيوم ..

سريع المفعول وكانٍ بها من السم ما يكفى لقتل ثلاثة رجال ولكن الدقائق مرت دون أن يبدو عليه أى أثر ..

وبعد قليل ناوله " البرنس يوسوبوف " ، كأساً من النبيذ وكانت مسمومة أيضاً ثم اتبعه بعدة كؤوس دون أن يظهر أثر للسم إلا ألم بسيط فى حلقه !!

ذهل البرنس وهو يرى هذا الشيطان يتناول كؤوس الخمر تباعاً وهو يبدى سعادتهبجودة النبيذ !!

وبعد مرور ساعتين تحطمت أعصاب البرنس تماماً وكان زملاءه فى الطابق الأعلى يتنظرون منه البشرى ولكن دون جدوى وعندما صعد إليهم البرنس كادوا يصعقون ، فقد تناول الرجل كمية من السموم تكفى لقتل عشرة رجال ، وقرر الجميع أن يهبطوا إلى أسفل ويقتلونه بمسدساتهم ، ولكن " البرنس يوسوبوف " أدرك أن هذه الخطوة قد تنبه " راسبوتين" ، إلى الخطر المحدق به وربما يفشل تدبيرهم ، فطلب إليهم الانتظار على أن يتكفل هو بإنجاز المهمة وحده ..

وتناول مسدس أحد الأصدقاء وهبط إلى أسفل مرة أخرة حيث وجد " راسبوتين " ، قد تحسنت حالته بعد أن تناول بعض الشراب المنعش ، وازدادت دهشته عندما عرض عليه الذهاب إلى أحد الأحياء سيئة السمعة حتى ينال جسده حظه من المتعة !!

وبعزيمة جبارة أخرج " يوسوبوف " مسدسه وقهر خوفه ثم صوب طلقة واحدة إلى قلب "راسبوتين " فأصابه إصابة قاتلة وسقط الشيطان بعد أن أطلق صرخة مروعة وهوى على ظهره ، فهرع الجميع إلى أسفل ليشاهدوا جثته ملقاة على الأرض ، كانت أصابعه تتقلص من الألم وعلى ثوبه بقعة دم حمراء ، وعندما أراد البعض أن يطلقوا عليه المزيد من الطلقات اعترض الأمير " يوسوبوف " ، حتى لا يتركوا المزيد من أثار الدماء بلا داعٍ خاصة بعد أن بعد أن سكن جسد " راسبوتين" وتأكد الجميع أن الرصاصة اخترقت قلبه .. صعد الجميع الى أعلى ليشاوروا فيما بينهم وتركوا الجثة في موضعها ..

قرر المتآمرون أن يدبروا أمرهم بحيث يبدو وكأن " راسبوتين"، قُتل في بيته لإبعاد الشبهة عن البرنس " يوسوبوف" ، فارتدى أحدهم معطف راسبوتين ، وأرخى قبعته على وجهه واتجه إلى داره حتى يظن من يراه أنه عاد إلى بيته ، وغادر الجميع منزل البرنس " يوسوبوف" ما عدا واحد فقط هو النائب " بيريشكفتش " ، كان الجميع يشعرون بإنهم قد أدوا خدمة جليلة لبلآدهم وخلصوها من شر وبيل ، ولكن شيئاً خفياً أثار قلق البرنس وطرأ على ذهنه هذا التساؤل : ماذا لو لم يكن " راسبوتين " قد مات ؟!

وعلى الفور هبط إلى القاعة التى قتل فيها " راسبوتين " ، فوجده ما يزال راقداً فى مكانه ، وعندما جس نبضه دهش للغاية .. فهناك

نبض ضعيف إذن فمازال قلبه يعمل ومازال جثته دافئة . فأمسك البرنس بالجثة وراح يهزها بعنف شديد ، وفجأة اختلجت ملامح الشيطان وفتح عينيه الرهيبتين وراح يوجه نظراته الطاغية إلى " البرنس يوسوبوف" ، الذى ألجمه الرعب وعندما حاول أن يصرخ احتبست الصرخة فى حلقة ، وفى لحظة رهيبة وكأنه كابوس مرعب انبعث " راسبوتين" ، واقفاً على قدميه وأخذ يزأر زئيراً وحشياً حتى أطبق بيده الفولاذية على كتف البرنس وراحت يده الأخرى تتجه إلى عنقه وبجهد جبار أفلت البرنس من قبضه الشيطان الذى ترنح وسقط على الأرض ثانية .

صرخ " يوسوبوف " ، عالياً لينادى صديقه " بيريشكفتش" ، الذى أقبل مسرعاً ودهش حينما علم أن " راسبوتين" ، مايزال حياً فأبرز مسدسه وأسرع إليه كان " راسبوتين" ، يزحف على أربع ويهبط الدرج وهو يطلق صرخات رهيبة وأطلق "بير يشكفتش" طلقتين أخطأتا الهدف وكان " راسبوتين " ، قد بلغ الفناء الخارجى وهنا أصابته الطلقة الثالثة فى صدغه فسقط على الأرض .. وعندما تحقق البرنس من وفاته عاد إليه بعد قليل فوجده قد تحرك من موضعه !!

جن جنونه وانطلق بسرعة ليحضر الهراوة الضخمة وراح يهوى بها بجنون فوق كل أنحاء جسد " راسبوتين " حتى أنهكه التعب وسقط مغشياً عليه .

وحمل أصدقـاء البرنس جثة " راسبـوتين " وألقوها فى الماء من فوق أحد الجسور ، ويقال إنه بعد استـخراج الجثة وتشريحها تبين أن سبب الوفـاة هو الاختناق !! أى إنه كـان ما يزال حيـاً عندما ألقى فى الماء !!



# فان جوخ

**الفن والجنون:**

إن لوحات الفنان الهولندى الخالد " فنسنت فان جوخ " ، تعد من العلامات البارزة في دنيا الفن ، ورغم موهبته الفائقة إلا أنه عاش بائسا معذبا غريبا فى وطنه وبين أهله ، فقد كان إنسانا شديد الحساسية مرهف القلب إلى أقصى الدرجات ، عاش حياة قصيرة للغاية ولكنها حافلة بألوان البؤس والعذاب والمعاناة ، كان فنه رائعا إلى درجة حيرت العالم ، نجح فى أن يعكس فى لوحاته طبيعته الفائقة الحساسه وعمق معاناته وسط المجتمع .

ولكن التناقض كان شديداً بين حيرة العالم أمام لوحات " فان جوخ" وخبرته أمام تصرفاته العجيبة ، وأعجب هذه التصرفات على الإطلاق هى إقدامه على قطع أذنه بنفسه وحزمها بعناية ليقدمها هدية إلى حبيبته ، بينما كانت الدماء تتدفق حارة من جرحه الأليم !!

والعجيب فى الأمر أنه لم يكن هناك مبرر لديه ليقوم بهذا العمل الشاذ سوى أن حبيبته قالت له يوماً :

ما أجمل أذنيك يا فنسنت !!

ومن أجل هذه الكلمة وحتى يرضى حبيبته كما ينبغى لفنان نقى القلب لا يعرف سوى الصدق والصفاء بادر بقطع أذنه وحملها سعيداً إلى حبيبته ، وقد أحدثت فعلته هذه رد فعل شديد لدى أهله وأصدقائه ومعارفه وأتهمه الجميع بالجنون ..

ولسنا نعرف على وجه التحديد هل كانت شدة حساسية " فان جوخ " هى التى دفعته إلى هذه التصرفات الشاذة أم أن المرض العقلى كان تمكن منه تماماً ولم يعد يستطيع التحكم فى سلوكه .

لقد عانى " فان جوخ " ، نوبات من الجنون وتم إيداعه المستشفى ليتلقى العلاج ، ومن حسن حظه أنه لم يعش طويلاً حيث توفى وهو فى نحو السابعة والثلاثين من عمره فقط .

**روائع الفن الحديث :**

فى سنة ١٨٥٣ ولد " فنسنت فان جوخ " فى هولندا وكان منذ طفولته المبكرة يتميز بالحساسية الفائقة والوداعة والهدوء ، عشق الطبيعة إلى أقصى حد ، والعجيب أنه لم يزاول فن الرسم الذى صار فيما بعد واحداً من أعلامه إلا فى السنوات العشر الأخيرة من حياته القصيرة .

كان مشحوناً بشتى أنواع الانفعالات حب للحياة ولسائر المخلوقات ، عطف على كل ذوى الحاجة والتعساء والمعذبين .. عشق للطبيعة والجمال .. عذاب شديد وسط مجتمع لم يرحمه ولم يقدر

بل مقاصده وسمو روحه .. تمكن خلال هذه المدة من رسم عدد كبير من أروع اللوحات العالمية التى تقتنيها المتاحف الكبرى فى العالم حالياً .

من أهم الأحداث فى حياته رحلته إلى باريس حيث التقى بالفنان الكبير " جوجان" كما التقى بالفنان " ديجا" وتأثر بهما كثيراً حيث بدأت لوحاته تأخذ طابعاً أكثر إشراقاً وحيوية .

وقد توفى فان جوخ فى سنة ١٨٩٠ .



# بيكاسو

## أعظم رسام فى العصر الحديث :

ربما كان المذهب التكعيبى فى الفن الحديث هو أكثر المذاهب الفنية التى دار حولها الجدل لسنوات طويلة ، وقد ابتدع هذا الأسلوب الفنان العظيم بابلو بيكاسو ، ويرجع ذلك إلى الصعوبة التى قد يجدها الإنسان العادى فى فهم معنى اللوحات التكعيبية لأول مرة ، ويرى " بيكاسو " أن الفن لايفهم بالعقل ولكن بالروح فيقول :

( لست أدرى لماذا يريد الناس دائماً أن يفهموا الفن بينما نحن لانسأل الطير عما تعنيه أغانيه ؟ ألسنا نحب الليل والأزهار وكل ما حولنا ، دون أن نحاول أن نجد لهذا الإعجاب معنى ؟ )

والتكعيبية التى أثارت هذا الجدل الطويل ليست هى المرحلة الوحيدة فى حياة " بيكاسو " الحافلة بالفن والإبداع ، فهناك العديد من المراحل أولها المرحلة الزرقاء ثم المرحلة الوردية فالكلاسيكية الجديدة والواقعية والتكعيبية وغيرها من المراحل التى تعبر عن نضج الفنان وبلوغه أرقى مراتب الفن التى لم يسبقه إليها أحد .

لقد أثار " بيكاسو " عجب العالم عندما بلغ عامه التسعين ورغم

ذلك ظل يرتدى الشورت ويغازل المراهقات ويعيش حياة حافلة بالإنطلاق والإبداع ، لم تضعف ذاكرته ولم يفقد حساسيته وقدرته الهائلة على الرسم والإبداع ، وكان خلال حياته غزير الإنتاج إلى درجة لايتصورها العقل ، وتقدر عدد اللوحات التى رسمها بحوالى عشرين ألف لوحة ، كان الرسم بالنسبة له عبادة روحية واستغراق تام فى عالم الجمال والإبداع ، وعندما سئل عن كيفية قضائه ساعات طوال أمام لوحاته قال :

( عندما أبدأ بالرسم أترك جسدى خارج باب الاستوديو ، كما يفعل المسلمون عندما يدخلون المسجد للصلاة ، ان الرسم عندى عبادة واستغراق روحى )

كان مؤمناً بأن الفن رسالة سامية لاتتوقف عند حد أمتاع الأنظار بل إنه قادر على شفاء الإنسان من أمراضه النفسية والجسدية وعن ذلك يقول :

( سيأتى اليوم الذى تستطيع فيه اللوحة الفنية أن تشفى الإنسان الذى يشكو من ألم الأضراس ، إذا تأمل فى اللوحة واستوعبها )

كان بيكاسو شخصية عجيبة مليئة بالحركة والحيوية نابضة بإيقاع الحياة حافلة بالتناقضات ، فهو رسام نحات كاتب وأديب ، سياسى واسع الثقافة شديد الحساسية ثاقب البصر يقول عنه الناقد الفنى " ارنست اريوف " :

( له عينان تريان كل شيء ، وقلب يحب كل مافى الحياة والطبيعة ، وله يدان تستطيعان إبداع أروع الأعمال ، إنه واحد من أعظم الفنانين الذين عرفهم العالم على مر العصور )

ويكفى للدلالة على عظمة " بيكاسو " أن نذكر لوحته الفنية الخالدة ( الجرنيكا ) التى تعتبر أشهر لوحات القرن العشرين وهى أيضاً أعظم لوحة سياسية فى العصر الحديث ، وبالإضافة إلى الجرنيكا فقد أبدع " بيكاسو " عدداً من اللوحات الشهيرة التى تعد علامة مميزة فى تاريخ الفن .

**الفنان الصغير :**

ولد " بابلو جوزيه رويز بلاسكو ) فى الخامس والعشرين من أكتوبر عام ١٨٨١ فى مدينة " ملقة " الأسبانية ، أما والدته فهى "ماريا بيكاسو" ومنها أخذ لقبه الذى اشتهر به فى كل أنحاء العالم ، ويقال إنه فعل ذلك بسبب خلافه مع والده وحبه العظيم لأمه .

كان والده رساماً يعمل بتدريس الرسم أيضاً ، وكان من الطبيعى أن يقوم بمحاولات لتعليم طفله الصغير فن الرسم ، ومنذ الوهلة الأولى التى بدأ فيها بابلو الصغير يتحكم فى القلم الرصاص ويضع خطوطه على الورق وضح تماماً مدى مايتمتع به من موهبة فطرية كبيرة ، استطاع ان يرسم العديد من الأشكال والحيوانات بدقة متناهية أذهلت الجميع وأدركوا أنهم أمام موهبة نادرة ، وعندما بلغ العاشرة كان قد بدأ يرسم لوحات طبيعية ذات قيمة فنية عالية .

التحق بمدرسة الفنون الجميلة فى " برشلونة " وهو فى الخامسة عشـره من عمره بعـد أن أجتاز امـتحان القـبول بها وهو عـبارة عن لوحة يسـتطيع المتقـدم أن يرسمـها خلال شـهر ، أمـا بيكاسو فـقد رسمـها فى يوم واحـد فقط ، وقـد أمضى بيكاسو فـى هذه المدرسة عاماً واحداً ، ثم التحق بمدرسة أخرى فى العاصمة الأسبانية مدريد .

**المرحلة الزرقاء :**

كانت البداية الحقيقـية للفنان العالمى " بابلو بيكاسو " فى مدينة باريس التى شـهـدت أروع إبداعاته والتى قـضى بهـا بقـية حـيـاته المديدة ، وصل " بيكاسو " باريس معـدماً فقيراً مغمـوراً ولكنه فيما بعد أصبح أشهر وأغنى وأعظم رسام فى العالم على الإطلاق .

كـانت زيارته الأولى لباريس فى سنة ١٩٠١ وهو يناهز العشرين من عـمره ، عـاش فى " مـونمارتر " حى الفنانين الشـهيـر ، وبدأت حياته الفنيـة بما يعرف بالمرحلة الزرقاء ، وقد أطلـق عليها هذا الاسم بسـبب اللون الأزرق الذى اسـتعـمله " بيكاسـو " فى لوحـاته ولم يستـخدم غـيره ، وكانت تلك المـرحلة هى أصعب المراحل فى حـياته حيث عانى من الحزن والأسى العميق وكانت ألوانه القاتمة تعبيراً عما يعانيه ، ويقول بعض النقاد إنه استـعمل هذا اللون ليؤكد للعالم مدى قدرته على رسم اللوحات بلون واحد فقط .

ويقـول آخرون إنه فـعل ذلك بسبب حـزنه الشـديد على صديقـه الرسـام " كارلوس كـازاجيـماس " الـذى عاش مـعه فى مـرسمـه

وتعرض لصدمة عاطفية دفعته للانتحار ، ومن أهم لوحات " بيكاسو " فى هذه المرحلة لوحة " مأتم وجنازة " ، كما رسم العديد من البائسين والمعذبين والضعفاء والمشوهين وحفلت رسومه بكل ألوان العذاب الإنسانى والكآبة والحزن .

وخلال هذه المرحلة عانى " بيكاسو " الفقر والحرمان ، وقد حمل إحدى لوحاته ليبيعها بدولار واحد فقط ولكنه فشل فعاد بها حزيناً وفى الطريق انهمر عليه المطر الغزير فأتلف اللوحة ، ولكن هذه اللوحة بيعت بعد ذلك بخمسة آلاف دولار بعد أن عرف العالم بيكاسو .

**التكعيبية :**

ذكرنا أن الطريقة التكعيبية فى الرسم كانت محوراً للجدل بين الفنانين ، وقد اتهم بعضهم " بيكاسو ". بتشويه فن الرسم ، فى سنة ١٩٠٧ بدأ " بيكاسو " هذه المرحلة بلوحته الشهيرة ( فتيات افنيون ) التى استوحاها من شارع افنيون فى برشلونة ، وقد رسم خمس فتيات بينهن نرنجيتان ، وتعد هذه هى أول لوحة تكعيبية فى التاريخ وكانت حدثاً فنياً مدوياً فى ذلك الوقت .

وقد أعجب بهذا اللون من الرسم عدد كبير من الرسامين مثل : جراى وبراك وغيرهما .

وقد سبقت تلك المرحلة مايعرف بالمرحلة الوردية التى استغرقت

حوالى عـامين تخلص فيهمـا " بيكاسو " من أثار الاكتئـاب والحزن وبدأت أحواله المادية فى الانتـعاش بعد طول معـاناة ، وكانت الألوان المبهجة تغلب على لوحاته فى تلك الفترة .

**الجرنيكا:**

رغم أن " بيكاســو " رحل إلى باريس وهو يناهز الـعشـرين من عمره ثم استقر بها إلى أن توفى إلا أن أسبانيا لم تفارق خياله لحظة واحدة ، فكان دائمـاً يتابع أخبـارها ويستوحى من إلهـامها عـشرات اللوحات الرائعة ، كما أن أكثر أصدقائه فى باريس كانوا من الأسبان ، ومن ناحيـة أخرى فيـعتبر " بيـكاسو " من أكثر الـفنانين العالميين ثقافة وإلماماً بالشئـون السياسية بصفة عامة وبشـئون وطنه أسبانيا بصفـة خاصة ، وكـان أكثـر ماهزّ مشـاعر بيكاسو وأدمـى قلبه هو قصف الطائرات النازية الحليفة لديكتـاتور أسبانيا " فرانكو " لمدينة " جيرنيكا " الأسـبانية معـقل الجمهوريين اليـساريين ، وذلك خلال الحرب الأهلية الأسبانية ، وكـان " بيكاسو " من أنصار الجمهوريين ، ومن وحى الدمـــار الرهيـب الذى لحق بالمدينـة من جـراء الـقنابل الألمانيـة أبدع بيكاسو " أروع " لوحـات القرن العـشرين وأشــهرها وهى لوحة " الجيرنيكا " .

ويقول " بيكاسو" ، عن دور الفنان فى الحياة والسياسة :

( أتظنون أن الفنان إنسان له عيون فقط إذا كان رسـاماً ؟ وله أذان فقط إذا كـان موسيـقياً ، إن الفنان رجـل سياسـى ، وليـست الصور

واللوحات إلا أسلحة للدفاع والهجوم على الأعداء ، فهى ليست أدوات زنية تعلق فى لبيوت ) .

ومن أعماق " بيكاسو" ، نبعت تلك اللوحة الخالدة التى يبلغ طولها ٢٥,٥ قدماً وعرضها ١١,٥ قدماً ، وتصور ببراعة مذهلة مدى الذعر والفزع والدمار الذى تعرضت له هذه البلدة المنكوبة ، وترى فى اللوحة التى رسمت بالطريقة التكعبية مصباحاً كهربائياً مطفأ ، وحصاناً ترتسم على وجهه أيات الذعر والألم من جراء الحربة التى انغرست فى جسده بصورة وحشية ، وامرأة تصرخ فى رعب قاتل وهى مدلاة من إحدى النوافذ وأخرى تحاول الزحف لتصل إلى الحصان ، وجندياً مقتولاً مازال يقبض على سيفه المحطم ، وامرأة مشوهة بصورة بشعة ، وامرأة تحمل بين يديها طفلاً ميتاً وترتسم على وجهها أعظم أيات الحزن والتعاسة وبيتاً يحترق ، وثوراً ينظر بتحدى وقحة وغرور .

ورغم أن اللوحة تعبر بطريقة رائعة عن كل معانى الموت والخراب والدمار إلا أن " بيكاسو" ، لم يستخدم فيها ما يعبر عن الدم الأحمر ، ورغم المبالغ الطائلة التى عرضت عليه ثمناً للوحة الخالدة إلا إنه رفض بيعها رفضاً قاطعاً ، وكان هذا سلوكه دائماً نحو أعماله التى تكون قريبة من نفسه .

## مواهب بلا حدود:

يقول أحد النقاد الفنيين عن " بيكاسو" :

( إن بيكاســو المؤرخ ، المثــال ، الأب ، الشاعــر ، العــالم ، الروج ، واحد من أعظم الفنانين الذين عرفهم العالم على مر العصور ) .

كان بيكاسو متعدد المواهب غزير الإنتاج واسع الإطلاع ، فبجانب ابداعاته الفنية الخالدة والتى بلغت حداً قياسياً كما أوضحنا ، فقد كان يتـمتع بالعـديد من المواهب ، كـتب المسرحـيات ونظم الشعـر ولكن محاولاته لم تلق نـجاحاً يذكر ، قام بنحت العديد من المتماثيل الرائعة وصمـم عدداً كبيراً من ديكورات المسرحيات وملابس المـمثلين ، ترك تراثاً عظيماً من رسوم الحفر والملصقات الإعلانية

ومن أهم التصميمات التى تركـها تصميم زمز مؤتمر السلام الذى عقد بوارسو سنة ١٩٤٨ ، عقب الحرب العالميـة الثانية فرسم حمامة السلام الشــهيرة ، وكان بيكاسوا يـعشق الحمام لوداعتــه وقد أطلق على ابنته اسم "بالوما " أى الحمامة بالأسبانية .

لقى تكريماً رائعاً خلال حياته لم يشــهده فنان قبله ، فقد أ قيم له معرض ضـخم فى متحف الفن الحديث بنيويورك سنة ١٩٥٧ عرضت فيــه عشرات الأعمــال الرائعة لبيكاســو ، وكان أضخم معــرض يقام لفنان بمفرده ، ومن المـعارض المتميـزة التى أقيمـت من أجل بيكاسو ذلك المعرض الذى أقامه متحف اللوفر العريق للوحات بيكاسو سنة ١٩٧١ ، احتفــالاً ببلوغه سن التســعين ، وكانت تلك المرة الأولى التى يقام بها معرض فى متحف اللوفر لفنان فى حياته .

وفى صــبــاح يـوم الثــامن من أبريل سنة ١٩٧٣ قـطعت الإذاعـة

الفرنسية برامجها المعتادة لتعلن نبأ وفاة الفنان العظيم "بابلو بيكاسو" ، عن عمر يناهز الواحدة والتسعين وبضعة أشهر عقب إصابته بالسكتة القلبية ، وكانت إحدى أمنياته قد تحققت ، فقد تمنى أن يموت بلا مرض يقعده عن الاستمرار فى العمل حيث قال :

( إننى لا أخاف الموت .. بل على العكس أجد فيه نوعاً من الجمال وإنما الذى يخيفنى هو أن أقع مريضاً ولا أستطيع الاستمرار فى العمل .. عندها يصبح الزمن ضائعاً ثقيلاً ) .



# أتاتورك

**الاتجاه غربا :**

منذ عدة سنوات ، وبعد أن انحسرت موجة الاتجاه نحو الغرب والعودة إلى الأصول والبحث عن الجذور انفتح باب المناقشة على مصراعية للنظر فيما خلفه الزعيم التركى " مصطفى كمال أتاتورك " ، من أعمال أحدثت انقلاباً شاملاً فى أحوال تركيا والعالم الإسلامى بصفة عامة ، ومازال هناك فريق يرى أن أتاتورك كان على حق فيما اتخذه من خطوات نحو الغرب وطمس الهوية الإسلامية من تركيا ، وفريق أخر هو الأغلبية .. يرى أن الرجل قد ارتكب خطيئة كبرى فى حق الدول الإسلامية جميعاً بالإضافة إلى أخطائه الكثيرة فى حق تركيا ..

إن خطايا أتاتورك عديدة لقد توج هذه الخطايا بإلغاء الخلافة الإسلامية وصار المسلمون بلا خليفة ، وألغى اللغة العربية كما ألغى سائر التشريعات الإسلامية وأخذ بالتشريعات الغربية ، ومنع حجاب المرأة المسلمة وألغى ارتداء الطربوش أو الزى الوطنى وألزم أبناء وطنه بارتداء الملابس الأوربية ، وألغى الأذان باللغة العربية

وجعله باللغة التركية ، كما ألغى التقويم الهجرى والمحاكم الشرعية وأغلق أكبر مسجدين فى مدينة استانبول وهما مسجد ( أياصوفيا ) و( محمد الفاتح ) ، وفى عهده تم إعدام المئات من علماء الدين المسلمين .

**الغاء الخلافة :**

وقد خاض " أتاتورك " ، معارك طاحنة من أجل إلغاء الخلافة الإسلامية وفصل الدين عن الدولة ، وفى سبيل تحقيق هذا الهدف نكّل بالكثيرين من المسلمين المتمسكين بدينهم ، كان " أتاتورك "، جباراً طاغية لا يقبل أى معارضة أو تدخل فى قراراته مهما كانت ظالمة ، لقد جمع فى قبضته العديد من السلطات مثل رئاسة الجمهورية ورئاسة حزب الشعب بالإضافة إلى رئاسة الجمعية الوطنية ( البرلمان ) ، والقيادة العليا للجيش التركى وأيضاً رئاسة الوزراء !!

وفى تبريره لإلغاء الخلافة يقول : " أتاتورك " وهو يخاطب نواب الشعب :

( يجب صيانة الجمهورية المهددة بأى ثمن ، وجعلها تتقدم على أسس علمية متينة ، فالخليفة ومخلفات آل عثمان يجب أن يذهبوا ، والمحاكم الدينية العتيقة وقوانينها يجب أن تستبدل بها محاكم وقوانين عصرية ، ومدارس رجال الدين يجب أن تخلى مكانها لمدارس حكومية غير دينية )

أى أن السبب فى تخلف تركيا عن اللحاق بركب التقدم والحضارة من وجـهة نظر أتاتورك هو التـمسك بالإسـلام !! إن تهمـة الخيـانة العظمى كـانت هى التـهمـة التى تنتظر كل من يعـارض أتاتورك فى الرأى أو يجـاهر بانتقـاده ، وقد انتـشر رجـال البوليس السـرى فى ربوع البلاد للإيقاع بخصوم أتاتورك والتنكيل بهم .

ويذكر المؤرخـون أن أتاتورك قام بالتـوقيع على قرار بإعـدام أحد أصـدقـائه المقـربين ويدعى " عـارف " ، بـعـد أن انضم إلى جـانب المعارضة ، وكان ذلك ضمن حكم بالإعدام على جميع المتهمين فى أحد القضايا السـياسية ، وقد وقـع أتاتورك على قرارات الإعدام دون أن تختلج فى وجهة عضلة واحدة !!

ولاننسى أن أتاتورك عمل جاهداً على طمس الهـوية الإسلامية من تركيا حـيث أنشأ مدارس لتـعليم الرقص الغربى وولّى المرأة منصب القضاء وعاقب كل من يستعمل الحروف العربية فى الكتابة .

وبعد أن انتهى من تدميـر الامبراطورية الإسلامية العـثمانية بعث خليفتـه ( عصمت اينونو ) إلى بريطانيا برسـالة توضح بجلاء مدى خيانته للمسلمين حيث يقول فى بعض سطورها :

" لماذا تقاتلوننا مـرة أخرى ؟ لقد كنا امـبراطورية كبـيرة ، وكنتم تخـشـون جـانبـنا ، ولم يبق إلا العنصـر الـتـركى فى الأناضـول ، وأصبحنـا لايخشى جانبنا فاتركـونا مستمتـعين باستقلالنا كـعنصر تركى وحده " وعلى الجـانب الآخر فهذه بعض أعـمال أتاتورك التى

ضخمتها أجهزة الدعاية فى محاولة منها لتحسين صورته أمام أبناء العالم الإسلامى ، ولمَ لاتفعل وهو الذى قدم للغرب أعظم خدمة فى تاريخه ؟!!

قاد مصطفى كمال أتاتورك القوات التركية فى ليبيا واستطاع إلحاق الهزيمة مرات عديدة بالقوات الإيطالية التى جاءت لغزو ليبيا .

فى سنة ١٩١٥ وأثناء الحرب العالمية الأولى كان أتاتورك يتولى قيادة القوات التركية المتمركزة فى شبه جزيرة جاليبولى الاستراتيجية واستطاع أن يلحق بالقوات الفرنسية والإنجليزية هزيمة منكرة ، وكانت القوات الغازية قد تمكنت فى البداية من احتلال أجزاء من شبه الجزيرة قبل أن يتمكن الأتراك من دحرها .

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى تعرضت تركيا لخطر التقسيم بواسطة الحلفاء الذين هزموا ألمانيا وتركيا ، وقد احتلت القوات اليونانية مدينة أزمير الاستراتيجية ، وهنا قام أتاتورك بتعبئة الأتراك واستنهاضهم للدفاع عن وحدة أراضيهم وطرد المستعمرين ، وتمكنت القوات التركية المدعومة من الشعب من طرد القوات المحتلة بعد عدة معارك طاحنة .

بعد أن استقرت الأحوال السياسية فى تركيا عمل أتاتورك على بناء تركية الحديثة عن طريق إقامة المصانع الكبرى وتنمية الصادرات وتنشيط الاقتصاد لتصبح تركيا دولة قوية لاتلجأ إلى غيرها من الدول لإمدادها بالغذاء أو المنتجات الصناعية الأساسية .

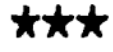
**البعث الإسلامي :**

ولم يغفل أتاتورك حماية أمن تركيا فعقد عدة معاهدات مع الدول المجاورة لحماية الحدود التركية .

ولكن هل نجح هذا الطاغية فى الارتقاء بالشعب التركى وانتشاله من التخلف والجهل كما كان يدعى ؟

هل نجح فى استئصال نور الإيمان المتغلغل فى عقول وقلوب الشعب التركى ؟

الإجابة .. كلا لقد فشل فى ذلك فشلاً ذريعاً والدليل على ذلك النجاح الساحق الذى حققه حزب ( الرفاه الإسلامى ) فى الانتخابات التشريعية عام ١٩٩٥ وتولى زعيمه " نجم الدين أربكان " منصب رئيس الوزراء وسط دهشة العالم الغربى الذى ظن أن تركيا الإسلامية قد اندثرت إلى الأبد وأن الإسلام لن تقوم له قائمة بعدُ ذلك ، ولكن التأييد الساحق والمتعاظم الذى يلقاه حزب ( الرفاه الإسلامى ) الحديث التكوين قلب كل حسابات الغرب وأثبت للعالم أن الشعب التركى لم يتخل عن هويته الإسلامية .



# ستالين

**عبقرية شريرة :**

الزعيم السوفيتى " جوزيف ستالين هو أحد العبقريات التى عرفها العـالم ولكنهـا على حد وصف المؤلف الأمـريكى " مـايكل هارت"، عبقرية شريرة .. وبالفعل نـجد أن شـخصية ستالين من الشـخصيات العجيبة حـقاً فهو من ناحية قد أثر فى حيـاة مئات الملايين من البشر سـواء الذين عاشـوا داخل حدود الاتـحاد السوفيتى أم خارجها ، ومن ناحيـة أخرى فقد لـعب دوراً خطيراً فى رسم خريطة العـالم وتدعيم قوة الامبراطورية السـوفيتية لتصبح القوة العظمى الثانية .

وهى شـخصية تـحتوى على العديد من المتناقضات ، وإن كان العالم ينظر الآن إلى سـتالين كـدكتاتور دمـوى قتل مـا يزيد على عـشرين مليونـاً من مواطنيه التـعسـاء منهم نسبة كبيـرة من العلماء والمثقفين والمبـعدين ، وهو مـثل غـيره من الشــخصـيات الـتى قدمناها نـجـد العـشـرات الذين يـدافـعـون عنهـا ويحـاولون تبـريـر أخطائهـا بل ويحولونها إلى مزايا وعلى العكس فـهناك الكثيرون الذين ينتهزون

كل فرصة للتعريض بصاحبها وذكر مساوئه ومن خلال هذا العرض السريع لسيرة ستالين سوف نرى التناقض العجيب بين إنجازات هذا الرجل الرائعة وبين مساوئه المخزية .

فى سنة ١٨٧٩ ولد " جوزيف فيسباريو فتش جوجا شفيلى " ، وذلك على أرجح الروايات وكان ذلك فى مدينة جورى بجمهورية جورجيا .. وكان والده عاملاً بسيطاً سئ الحال دائم السكر ، وعندما ساءت الأحوال هاجرت الأسرة إلى مدينة تفليسى عاصمة جورجيا ، وهناك التحق " جوزيف "، بإحدى المدارس الابتدائية ثم التحق بمدرسة دينية ولكنه لم يحب الدراسة يوماً وانصرف يطالع بشغف كل ما كتب عن الاشتراكية ومساوئ البرجوازية ، ومن العجيب أنه راح يدعو إلى المبادئ الاشتراكية وهو فى المدرسة الدينية ويجمع زملاءه وينشر بينهم المبادئ وقد تطورت الأمور سريعاً لتنتهى بهذا الحادث ذى الدلالة الهامة فى حياة " جوزيف".

## حادث ذو دلالة عميقة :

لقد علمت إدارة المدرسة بنشاط الفتى جوزيف داخل المدرسة وقررت بالإجماع فصله خوفاً من أن يفتن زملاءه ، وبالإضافة إلى ذلك تقرر معاقبة باقى الزملاء الذين اشتركوا فى هذه الاجتماعات .

ومن العجيب أن الذى وشى بهؤلاء الزملاء هو جوزيف نفسه !

ويبرر جوزيف هذا الموقف العجيب بأنه فعل ذلك حتى ينكشف

أمر هؤلاء الزملاء على الملأ ويعرف الجميع أنهم أعضاء فى الحزب الشيوعى وبهذه الطريقة لا يمكنهم التراجع بعد ذلك !!

إنه حقاً عقل يتميز بالعبقرية الشيطانية ..

وبدأ يمارس نشاطه المحموم داخل صفوف الحزب الشيوعى وراح يؤلب الجماهير على الحكومة القيصرية ويعدد مساوئ البرجوازية ، ويدبر المؤامرات ضد الحكومة ، كان شديد البراعة فى تدبير المؤامرات ، وتعرض للمطاردة الدائمة من قبل الحكومة ، وقد ساهم فى هذه الفترة من حياته فى بث بذور الثورة بين الجماهير ونجح فى تنفيذ عدد من الاضرابات العمالية التى زعزعت مركز الحكومة ، ألقى القبض على ستالين عدة مرات وتم إيداعه السجن ونفيه إلى سيبيريا ، ولكنه كان ينجح دائما فى الهرب من سجنه بطرق غاية فى البراعة متحدياً الأخطار الشديدة مما اكسبه تعاطف الآلاف من مواطنيه .

وفى عام ١٩٠٥ اشترك مع أحد زملائه فى اغتيال حاكم جورجيا .

ومما يؤكد قدرته الفائقة على حبك المؤامرات أن عدداً كبيراً من زملائه فى الحزب الشيوعى فى جورجيا قد اختفوا وهم الذين ثارت حولهم الشكوك أو وجهت إليهم تهم الخيانة والتعاون مع السلطات ، وقد أكدُ الكثيرون أن ستالين كان وراء هذا الاختفاء الغامض .

**السياسى النشيط :**

وفى إحدى المرات التى نجح فيها فى الهروب من منفاه فى سيبيريا هرب إلى أوربا ، وفى باريس التقى مع الزعيم الشيوعى لينين الذى أعجب بنشاطه وبإخلاصه الشديد للشيوعية وقد وقع اختيار لينين عليه ليكون أحد كبار معاونية فى صراعه مع زعماء الحزب الشيوعى ، وفى هذه الفترة أطلق عليه لقب " ستالين " أى ( الرجل الفولاذى ) .

وقد تولى " ستالين " ، مهمة الدعاية للشيوعيين البلاشفة وتدعيم مركز الحزب وسط الجماهير ، وتولى الإشراف على جريدة " ازفيزتيا"، و" برافدا" ، وكان يعاونه رفيقه " مالينوفسكى " ، وفى هذه المرحلة اشتدت حملات المطاردة التى كانت تقوم بها الحكومة للإيقاع بستالين ورفاقه ، وقد ذهل " ستالين "، عندما اقتحمت قوات الحكومة مركز ه السرى الحصين وتم سجنه ونفيه إلى أقصى بقاع سيبيريا حتى لا يتمكن من الهرب ، وبعد فترة طويلة من الحيرة والعجب أدرك " ستالين"، الحقيقة فقد أوقع به رفيقه " مالينوفسكى" ، الذى كان عميلاً سرياً للحكومة !!

**صراع على السلطة :**

وفى سنة ١٩١٧ اندلعت الثورة الروسية الكبرى وشهدت البلاد صراعاً دموياً رهيباً سالت الدماء فيه أنهاراً .. وأخيراً تمكن الشيوعيون البلاشفة بزعامة "لينين " ورفاقه من السيطرة على

مقاليد الأمور ، وتم تعيين " ســتالين" ، وزيرا للأقليات ، وهى وظيفة غير براقــة ولكن ستالين كان ســعيداً بها ، أمــا " ليون تروتسكى " الرجل الثانى فى الثورة الشيوعية فقد تولى منصب وزير الخارجية ، وكانت المنافسة على أشــدها بين " ستالين" و" تروتسكى " ، وكان " لينين " يميل إلى " تروتسكــى" ويرى أنه خليفــته المناسب حــيث جاء فى وصيته :

( ســتالين وقح جــداً ، وعيــبه هذا لا يـطاق إذ كان يحــتل منصب السكرتير العام للحزب ، لذا فإنى اقترح على الرفاق أن يجدوا طريقه من الطرق لإزاحــته عن هذا المنصــب وتعيين رجل آخــر مكانه ، رجل أكثر جداً وأوفر أدباً وأكثر اهتماماً بالرفاق وأقل تقلباً ) .

وكان " ستــالين " قد تولى منصب السكرتير العــام للحزب وهو أحــد المناصب المســتــحدثــة ذات الثقل الـكبيــر ، ولكن " ســتــالين " المعروف ببــراعتــه الشديدة فى حــبك المؤامرات نــجح فى اســتقطاب اثنين من كــبار زعــماء الحــزب الشــيوعى وهمــا " كامنيــيف " و" زيتوفــيف" ، إلى صفــه ليشكلوا جبــهة واحدة ضــد " تروتسكى"، وبعد وفاة لينين سنة ١٩٢٤ تم إقصاء " تروتسكى " وتولى ستالين القيــادة وبدأ حملة تطهيــر دموية للتخلص مــن كل أنصار تروتسكى الذى اضطر للهرب من الاتحاد السوفيتى .

**الستار الحديدى :**

وبعــد أن انتهى ســتالين من منــافســه " تروتسكى"، تخلص من

رفيقيه "كامنيف " و" زيتوفيف" ، ليصبح هو الزعيم الأوحد فى الاتحاد السوفيتى ، وفى غضون ذلك تخلص من جميع القادة العسكريين الذين شك فى ولائهم ونفى عشرات الآلاف من الواطنين والعلماء والمفكرين إلى سيبيريا وقليل جداً منهم الذين عادوا أحياء ، وفى عهده تحولت جمهوريات الاتحاد السوفيتى إلى سجن كبير من المستحيل الخروج منه بسلام ، وكانت تهمة الخيانة العظمى هى أكثر التهم استخداماً فى هذا العهد ، وعقوبتها هى الإعدام دون تردد .

وقد بلغ ستالين حداً رهيباً فى التخلص من أبناء شعبه ، فهو لم يتخلص من منافسيه فقط بل تخلص من كل شخص يخشى أن يصبح صاحب نفوذ فيما بعد !!

فقد تخلص فى سنة ١٩٣٤ من أحد أقرب مستشارية وهو " سيرجى كبروف" ، وفى سنة ١٩٣٨ قام بإعدام أحد أخلص أتباعه وهو " ياجودا" ، الذى كان مسئولاً عن القيام بعمليات التصفية الجسدية ، وخلفه رجل يدعى " نيروف" ، الذى لم يكن حظه أحسن من حظ سابقه ، فقد أصدر " ستالين"، أوامرع بإعدام " نيروف " أيضاً !!

وقيل إن " ستالين " ، قد أعدم من الشيوعيين أضعاف ما فعل قيصر روسيا !!

بل إن ضحايا مزارع العمل الجماعى بلغوا حوالى ثلاثة ملايين فلاح راحوا ضحية الجوع أو المعاملة القاسية فى السجون .

ويعتبر البعض أن " ستالين "، هو أكبر ديكتاتور فى التاريخ نظراً للعدد الكبير من البشر الذين تأثروا بحكمه ، فقد حكم الامبراطورية السوفيتيه والتى كانت تمثل حوالى سدس العالم بالإضافة إلى دول الستار الحديدى التى سيطر عليها الاتحاد السوفيتى سيطرة كاملة ، وهى دول شرق ووسط أوربا .

ونحن بصدد الحديث عن تلك الشخصيات العجيبة فى التاريخ لا يفوتنا أن نذكر موقف " ستالين"، من ابنه " يعقوب " ،.الذى أنجبه من زوجته الأولى ، فقد نجح الألمان فى أسر هذا الابن خلال الحرب العالمية الثانية وأعلنوا استعدادهم لمبادلتهبعدد من الأسرى الألمان ولكن "ستالين" ، صاحب القَلب الحجرى رفض هذا العرض ليموت ابنه فى سجون ألمانيا !!

وفى عهد " ستالين " ، توسعت حدود الاتحاد السوفيتى إلى أقصى حدودها كما أصبح القوة الثانية العظمى فى العالم ونجحت التجارب النووية السوفيتية فى سنة ١٩٤٩ ليصبح الاتحاد السوفيتى أحد القوى النووية الكبرى كما قامت فى عهده نهضة صناعية كبرى بالإضافة إلى تطبيق ماعرف بسياسات الخطط الخمسية .

ولا ننسى أيضاً الدور الكبير الذى لعبه الاتحاد السوفيتى فى القضاء على ألمانيا النازية .

ولم تظهر هذه المساوئ ولم يعرف العالم تفاصيلها إلا بعد وفاة "

ستالين" ، فى سنة ١٩٥٣ وتوالت بعـدها التفاصيل الرهيبـة ليعرف العالم " ستالين " ، على حقيقته !!

★ ★ ★

# ليون تروتسكى

من الشخصيات التى مازالت تحير العالم حتى يومنا هذا شخصية الزعيم السوفيتى " ليون تروتسكى " . صاحب العزيمة الخارقة والطاقة الجبارة ، بالإضافة إلى إنه أحد ثلاثة نهضت على أكتافهم الامبراطورية الشيوعية السابقة بالاتحاد السوفيتى ورفيقيه هما " لينين " و " ستالين " ، وبالرغم من أن " تروتسكى " ، كان هو الرجل الثانى فى الدولة السوفيتية بعد لينين وكان يسبق ستالين ويتفوق عليه ببراعته وقوة حجته وثقافته الواسعة .. ورغم ذلك فقد انتهى نهاية لم يتوقعها أحد !!

**ثورى منذ نعومة أظافره :**

اسمه الحقيقى " ليفى دافيدو فيتش بروتشتين " ، منذ حداثته كان دائم التفكير فى مأساة التعساء من أهل روسيا ، وأغلبهم من الفلاحين المسخرين لخدمة كبار الإقطاعيين ، وخلال العقدين الأخرين من القرن التاسع عشر انتشرت الأفكار الاشتراكية فى أوربا بفضل بعض المفكرين وعلى رأسهم " كارل ماركس " ، ورفيقه " أنجلز " وقد لقيت هذه الأفكار أرضاً خصبة فى روسيا لكى تنمو وتترعرع نظراً لشدة الظلم والقهر الواقعين على عامة الشعب .

ورغم أنه لم يستكمل دراسته بالجامعة بصورة منتظمة إلا أنه كان واسع القراءة عاشقاً للاطلاع حتى أصبح من كبار المؤمنين بالفكر الاشتراكى المتطرف ، وتدريجياً تحول إلى الفكر الثورى وأصبح أحد أعلامه ، وقد حقق شهرة كبيرة فى أوساط الاشتراكية لما يتمتع به من مواهب الخطابة والقدرة على الإقناع المدعومة بثقافته الواسعة بالإضافة إلى قوة عزيمته وقدرته الفائقة على العمل الدؤب تحت أصعب الظروف وكان من الطبيعى أن تلتقى أفكاره مع أفكار الزعيم الثورى " لينين " .

وكانت بداية معاناته عندما نفى إلى سيبيريا بتهمة الاشتراك فى مؤامرة ضد القيصر ، وهناك قضى بعض الوقت فى الدراسة المتعمقة للنظرية الاشتراكية ، وفى عام ١٩٠٢ تمكن من الهرب من سيبيريا باستخدام جواز سفر باسم " ليون تروتسكى " ، وهو اسم مدير السجن .. وقد ظل هذا الاسم ملتصقاً به واندثر اسمه الأصلى تماماً ولم يعد أحد يذكره .

## لقاؤه مع لينين :

كان لقاؤه الأول مع الزعيم " لينين " ، فى مدينة زيورخ السويسرية حيث وجد العديد من الثوريين الأمان وكان من الطبيعى أن تتلاقى أفكارهم وتتوحد خططهما من أجل العمل الثورى ، وخلال تلك الفترة قام " تروتسكى" ، بالعديد من الرحلات إلى فرنسا ولندن والولايات المتحدة الأمريكية ناشراً أفكاره الثورية ، وقد عرف

بقدرته الفائقة على إقناع خصومه واجتذابهم إلى صفه .

وخلال السنوات التى سبقت الثورة الروسية الكبرى انقسم الاشتراكيون الروس إلى جناحين رئيسيين هما البولشفيك والمانشفيك وكان البولشفيك يؤمنون بتحقيق أهدافهم عن طريق العنف والثورة بينما نادى خصومهم بالأسلوب السلمى والتدرج فى تطبيق الاشتراكية ، ولم ينضم تروتسكى إلى أى منهما حتى قامت الثورة فى سنة ١٩١٧ وعندها انضم إلى البولشفيك الذين تزعمهم " لينين" ، وكان تروتسكى من أهم دعامات تلك الثورة وأحد عوامل نجاحها .

**القائد الأحمر :**

تولى " تروتسكى " ، العديد من المناصب الخطيرة فى القيادة الشيوعية وكان أهم تلك المناصب هو قائد الجيش الأحمر الروسى ، وهو المنصب الثانى مباشرة بعد القائد " لينين " ، واستطاع أن يحقق العديد من الانتصارات الهامة والتى دعمت مركز البولشفيك ، وإن تميز أسلوبه دائماً بالقسوة والعنف والبطش بخصومه بلا رحمة .. ولكنه فى النهاية حظى بشعبية جارفة فى أوساط الثوريين نظراً لما خلعته عليه وسائل الإعلام من صفات البطولة ونيت الشجاعة بالإضافة إلى أسلوبه الجذاب وثقافته الواسعة .

وقد تولى بعد ذلك وزارة الخارجية ، فى البداية عارض زعيمه "لينين" فى إجراء مفاوضات مع الألمان وانسحاب روسيا من

الحرب العالمية الأولى ، ولكنه عاد بعد ذلك ووقع الاتفاقيه مع الألمان ممثلاً الاتحاد السوفيتى . وهنا تبرز واحدة من أهم صفات " تروتسكى " ، وهى الميل الشديد للجدل والوقوف دائماً فى صف المعارضة ، وتلك الصفة هى التى قضت على مجده المرتقب ومكنت لأحد فلاحى جورجيا الذى لم يحصل على قدر يذكر من التعليم أو الثقافة أن يصبح هو خليفة " لينين " ، ذلك هو " جوزيف ستالين ".

**فى المنفى :**

فى عام ١٩٢٤ توفى الزعيم " لينين " ، عقب إصابته بالشلل ، وتمكن " ستالين "، الذى كان يعمل فى صمت شديد الى الإطاحة بمعارضيه واحداً وراء الآخر وقد ساعدته الظروف كثيراً حيث كان خصمه اللدود " تروتسكى " ، خارج البلاد ، وعقب عودته نشب الصراع بينهما ، واستمر هذا الصراع لعدة سنوات ولم يتمكن " ستالين " ، من إقصاء خصمه نظراً لما يحظى به من شعبية جارفة ، وقد استمر الجدل والصدام بين الرجلين لعدة سنوات تمكن خلالها " ستالين " ، من حبك مؤامرة محكمة حول " تروتسكى " ، ليتمكن فى النهاية من نفيه إلى ( المآتا ) ، عاصمة جمهورية اوزبكستان السوفيتية ، وتمكن تروتسكى من الهرب خارج الاتحاد السوفيتى بمعاونة أنصاره الذين كان عددهم يزداد باضطراد ، ورحل إلى باريس واسطنبول وأوسلو ثم استقر أخيراً فى العاصمة المكسيكية

بعد أن حصل على إذن من السلطات المكسيكية ، وخلال هذه الفترة كان أنصاره يتزايد عددهم داخل الاتحاد السوفيتى .

**المؤامرة:**

ولم يهنأ " ستالين " ، يوماً بعد رحيل خصمه اللدود ، فهو يهدد سيطرته المطلقة على الاتحاد السوفيت والدول التى تدور فى فلكه ، كما أنه يخشى من حب الجماهير الجارف لهذا الزعيم صاحب الأمجاد الكبرى فى تأسيس الامبراطورية السوفيتية ، وفى سنة ١٩٣٦ أصدرت محكمة موسكو حكمها بالإعدام على تروتسكى بتهمة التآمر ضد الدولة السوفيتية ، وهى التهمة التى ألصقها " ستالين " ، بعشرات من خصومه وأوردهم موارد التهلكه .

وفى شهر مايو من عام ١٩٤٠ ، اقتحم حوالى عشرين مسلحاً يرتدون زى الشرطة والجيش بالمكسيك منزل " تروتسكى " وفتحوا النار على جميع حجرات المنزل ثم لاذو بالفرار ، ولكن العجيب أن " تروتسكى " لم يقتل هو أو زوجته حيث إختفيا أسفل السرير ..

ولكن المؤامرات لم تهدأ .. ففى ٣٠ أغسطس عام ١٩٤٠ تمكن " فرانك جاكسون " ، السكرتير الخاص لتروتسكى من قتله بواسطة بلطة خبأها فى ملابسه ، وانتهز فرصة انكباب ضحيته على مكتبه فأسرع بتسديد الضربة القاتلة إلى رقبته ..

وهكذا قتل " تروتسكى " ، الزعيم الثــورى الذى أثار الجدل وحظى بتعاطف الملايين فى كافة أنحاء العالم وكان من المحتمل أن يصبح زعيم الاتحاد السوفيتى وخليفة لينين ..



# هتلر

## مجموعة من المتناقضات :

إن الحديث عن الزعيم الألمانى الشهير " أدولف هتلر " ، يعتبر تكملة لحديثنا عن عدد كبير من الطغاة المجانين أمثال " نيرون " ، و " چنكيز خان " و " روبسبير " ، ولكنه يختلف عنهم فى نقطة هامة ، وهى أنه الوحيد الذى كان صعلوكاً متشرداً ، فلم يكن أهله من طبقة الحكام أو النبلاء مثل " نيرون " و" چنكيز خان " ، ولم يحصل على قدر من التعليم والثقافة مثل " روبسبير " ، ومن العجيب حقاً أن يصبح هذا الصعلوك الضائع وسط شوارع ألمانيا زعيماً لأقوى دولة فى العالم خلال حوالى عشر سنوات منذ منتصف الثلاثينات وحتى منتصف الأربعينات ..

ورغم عدائه الشديد لعدد كبير من الأجناس البشرية إلا إنه نجح فى السيطرة على أفئدة معظم أفراد الشعب الألمانى ، فكان يبدو أمامهم فى صورة الوطنى الغيور على وطنه الساعى إلى وضع بلاده فى طليعة الأمم ، وقد ساعده على بلوغ هذه المنزلة قدراته الخطابية العالية ، فهو يعتبر من أشهر الخطباء فى التاريخ حيث برع فى إلقاء

الخطب الحماسية والكلمات النارية التى تلهب حماس جموع الشعب وتدفعهم إلى بذل أرواحهم فى سبيل الوطن .

وقد تمكن هذا الصعلوك الذى ذاق مرارة الفقر والحرمان وهام على وجهه كثيراً فى شوارع ألمانيا ، تمكن من فرض سيطرته على مساحات هائلة من القارة الأوربية ليجعل من ألمانيا أكبر امبراطورية فى العصر الحديث ، كما نشر الرعب والذعر فى أنحاء العالم وارتكب أبشع الجرائم فى حق عدد كبير من الأجناس مثل اليهود والروس والغجر ، حيث كان يتم جمع الآلاف من هؤلاء التعساء وتجريدهم من كل ما ينتفع به ثم تجرى لهم عمليات الإبادة الجماعية فى المحارق .. ويقال إن النازيين كانوا يستغلون بقايا الجثث فى العديد من الصناعات مثل صناعة الصابون !!

ومن العجيب حقاً أن هذا الزعيم المتطرف الذى يؤمن بسيادة ألمانيا على العالم والذى جعل شعاره ألمانيا فوق الجميع لم يكن ألمانى الجنسية بل كان نمساوى الجنسية والمولد ، ولكنه فاق فى تعصبه لألمانيا أكثر الألمان تعصباً وتطرفاً ويا لها من مفارقات عجيبة .

وكان أكثر ما أثار حيرة العالم وذهوله إصرار " هتلر " ، العجيب على عدم الأنسحاب من أى أرض احتلها الألمان مهما كانت الأسباب ، وعندما كان القادة الألمان يبعثون إليه بخططهم التى تقضى بضرورة الانسحاب لأسباب قاهرة وحتى لا تتعرض قواتهم للفناء ، كان يرفض بشدة ويأمرهم بالثبات حتى الموت ، ونتيجة لهذا التصلب

العجيب خسر الألمان عشرات الآلاف من خيرة جنودهم على مختلف الجبهات ، ولولا براعة عدد كبير من القادة العسكريين الألمان لتضاعفت الخسائر بصورة هائلة ، وحتى عندما أطبق الحلفاء على برلين من كل الجهات وضاع الأمل فى إنقاذ شرف المانيا لم يفكر هتلر لحظة فى التخلى عن أحلامه الجوفاء ، ولم يعترف بينه وبين نفسه بإنه أضاع بلاده ووضعها فى موقف أسوأ من موقفها عقب الهزيمة فى الحرب العالمية الأولى ، فقد تكالب الحلفاء على ألمانيا واقتسموا عاصمتها برلين فيما بينهم وتعرض الألمان لمهانة شديدة لم يتخيلها أحد على الإطلاق ولكن بعد فوات الأوان ، فقد انتحر زعيم الرايخ الثالث وترك بلاده تواجه مصيرها المحتوم ، وراح الشعب الألمانى يدفع ثمناً باهظاً لمغامرات زعيمه المجنون .

**الفنان الفاشل :**

منذ عدة أعوام تم بيع عدد من اللوحات الفنية التى رسمها الزعيم الألمانى " هتلر " ، فى مطلع شبابه ، لم تكن هذه اللوحات ذات قيمة فنية على الإطلاق ولكنها بالطبع تحمل قيمة تاريخية كبيرة ، وهى تعبر عن مرحلة الضياع والتشرد التى عاشها " هتلر " ، سنوات فى شوارع ألمانيا وبصفة خاصة مدينة ميونخ التى رحل إليها عقب مغادرته لمسقط رأسه فى مدينة ( براوناو) النمساوية ، فقد ولد " أدولف هتلر " فى سنة ١٨٨٩ فى هذه المدينة النمساوية التى تقع على الحدود بين ألمانيا والنمسا ، كان والده موظفاً صغيراً فى

الجمـارك النمساوية ، تلقى هتلر علومـه الأولية فى مدينة مـيونخ قبل أن يرحل إلى النـمسا وبالتـحديد إلى مدينة ڤـيينا عاصـمة الفن والجمـال والإبداع لكى يلتـحق بأكاديميـة الفنون ، كان ذلك فـى عام ١٩٠٧ وقد رفض طلبه لرداءة أعماله .

مارس عدة أعمال يدوية من أجل الحصـول على لقمة العيش وكان يقضـى أياماً بطولهـا لا يدخل جوفـه طعام وعـرف معنى الحـرمان والتشرد والضياع وسط شوارع المدن الكبرى وبدأت كراهيته لليهود فى هذه الفترة كما بدأتأفكاره العنصرية فى التبلور ..

ومن ضمن الأعمال التى مارسها فى مـدينة ميونخ أعمال النقاشة وتعد فترة الضياع فى حياة " هتلر" هى إحدى العوامل الهامة والتى انعكست نتائجهـا فيما بعد على تصرفـات " هتلر " وسلوكه الشديد التطرف ..

أما العامل الثانى والهام فهو هزيمة ألمانيا فى الحرب العالمية الأولى وما تبع هذه الهزيمة من إذلال شديد .

**وسام الشجاعة :**

مع بداية الحرب العالمية الأولى وبدافع من وطنيته المتطرفة انضم هتلر إلى الجيش البافارى وخاض غمار الحـرب وأظهر شجاعة فائقة اسـتحق من أجلهـا الحـصول على " وسـام الصليب الحـديدى " ، الرفيع وخلال الحرب وفى ميادين القتال بدأت شخصية " هتلر " ،

فى النضوج وتعاظم حبه لالمانيا عندما لمس بنفسه مدى الاخطاء التى أدت إلى هزيمتها فى الحرب وكان من الممكن تجنبها ومع نهاية الحرب اكتملت معاناته بعد إصابته بالغازات السامة إثر غارة جوية شنتها القوات المعادية على مواقع الألمان ، وقد أصيب " هتلر " ، بفقدان مؤقت للبصر شفى منه بعد أن قضى بعض الوقت فى المستشفى .

عقب الحرب بدأت مأساة ألمانيا ، حيث فرضت الدول المنتصرة عدة عقوبات مهينة على ألمانيا مثل تحديد عدد أفراد الجيش الألمانى ، واستقطاع مساحات كبيرة من الأراضى الألمانية مثل منطقة الرور الصناعية الهامة ، كما فرضت غرامات مالية باهظة كتعويضات تدفعها ألمانيا مقابل الخسائر الهائلة التى تسببت فيها .

كانت التعويضات العسكرية من أهم أسباب انهيار الاقتصاد الألمانى وتعرض الشعب لأشد أنواع المعاناة ، وقد تضمنت معاهدة فرساى أيضاً عدداً آخر من الشروط المقيدة لحرية ألمانيا فى كافة المجالات الاقتصادية والعسكرية والسياسية والتموية والاجتماعية .

ومن أهم المقولات التاريخية أن شروط معاهدة فرساى المجحفة هى التى أشعلت نار الحرب العالمية الثانية ، فكما شعر الشاب الوطنى المتطرف " أدولف هتلر " بالخزى والعار نتيجة للمعاهدة ، فقد كان هناك عشرات الآلاف من الشباب الألمانى يعانون من جروح نفسية عميقة بسبب الهزيمة وما تبعها من إذلال لبلادهم ، وقد عبر عدد

كبير من الألمان عن سخطهم على تلك الأوضاع بتشكيل الأحزاب اليمينية المتطرفة تعبيراً عن رغبتهم الطاغية فى رفع الظلم عن بلادهم .

**الفوهرر :**

كانت مدينة ميونيخ تموج بالنشاط المضطرم نتيجة لوجود العديد من الجماعات السياسية بها ، كانت هذه الجماعات تمثل شتى الاتجاهات مثل الشيوعية والاشتراكية والقومية المعتدلة والوطنية المتطرفة ، ووسط هذا البحر الهائج ظهر أحد الأحزاب اليمنية المتطرفة أسسه عدد من الشباب الرافض للأوضاع القائمة وكان على رأس المؤسسين الشاب المتطرف صاحب الوجه الصارم والشارب المميز " أدولف هتلر " .

إستطاع هتلر أن يسيطر تدريجياً على مقاليد الأمور فى الحزب الجديد الذى كان يعرف باسم ( حزب العمال الألمانى الاشتراكى الوطنى ) والذى أصبح يعرف بعد ذلك اختصاراً باسم الحزب النازى ، وكانت شارته المميزة هى الصليب المعقوف الشهير .

تكون الحزب النازى من مجموعة من أكثر الشباب الألمانى تعصباً لبلادهم ، ولما كان هتلر هو أكثر الألمان تعصباً فى التاريخ فقد فاق الجميع وأصبح هو الزعيم الأوحد للحزب ، ولا يرجع الفضل فى ذلك إلى شدة تعصبه ولا لخطبه الوطنية الحماسية فقط ولكن يرجع أيضاً

إلى حسن تنظيمه للحزب ونجاحه فى اجتذاب عدد من أصحاب المراكز المرموقة إلى صفوفه .

ولعلنا نتساءل هنا كيف نجح هذا الصعلوك نصف المتعلم فى تنظيم حزبه بهذه الدرجة من النجاح والدقة .

وقد أدرك هتلر مبكراً مدى أهمية وخطورة استخدام أساليب الدعايا ، ولذلك كان لديه دائماً خبراء فى الدعايا وعلى رأسهم وزير إعلامه "جوبلز" .

وخلال فترة قصيرة للغاية أصبح الحزب النازى من أقوى الأحزاب الألمانية وصار " هتلر " ، زعيمه الأوحد أى ( الفوهرر" ، وهو اللقب الذى عرف به طيلة حياته ، وكانت هناك صراعات دامية بين ميلشيات الحزب النازى وميلشيات الأحزاب الأخرى وبصفة خاصة الحزب الشيوعى ، وكان هتلر شديد المقت للشيوعيين ، وقد ترجمت هذه الكراهية إلى انتقام مروع شنته الأجهزة المكونة لنظام " هتلر " ، عقب نجاحه فى الوصول إلى قمة السلطة ، حيث تم إعدام واعتقال آلاف الشيوعيين ،وبالطبع فقد كان هذا هو مصير كافة المعارضين للحكم النازى .

وعقب ازدياد قوة الحزب وكثرة عدد مؤيديه فكر هتلر فى القيام بانقلاب عسكرى وذلك فى نوفمبر سنة ١٩٢٣ ولكن المحاولة فشلت وتم إلقاء القبض على هتلر وعدد من زعماء الانقلاب ، وحكم على هتلر بالسجن خمس سنوات لم يقض منها سوى ثلاثة عشر شهراً ألف فيها كتابه الشهير " كفاحى " .

## الصعود إلى الهاوية :

لم يكن الحزب النازى من أحزاب المقدمة رغم تعاطف عدد كبير من أبناء الشعب معه وقد أحسن هتلر استغلال فرصة الكساد العالمى الكبير للتشهير بخصومه اليهود الذين يدعمون الرأسمالية والشيوعيين والديمقراطين الاشتراكيين ، وكانت الأزمة الاقتصادية قد ألحقت بالاقتصاد الألمانى أضراراً بالغة وخاصة فى ظل العقوبات المفروضة على ألمانيا منذ الحرب العالمية الأولى ، وكانت هذه فرصته الكبرى فى اكتساب المزيد من المؤيدين والأنصار المتحمسين للمبادئ النازية المتطرفة .

فى يناير عام ١٩٣٣ أصبح هتلر مستشاراً لألمانيا ، ومنذ هذا التاريخ لم يعد هناك سوى حاكم واحد لألمانيا وإرادة واحدة هى إرادة " هتلر " ، الذى فرض ديكتاتورية صارمة فراح يدبر المؤمرات للإطاحة بخصومه تباعاً ، فأطاح باليهود والشيوعيين وفتح المعتقلات على مصراعيها لاستقبال الذين كتبت لهم النجاة من التصفية الجسدية ، كما زجّ بمعارضيه بمختلف اتجاهاتهم فى معسكرات الاعتقال .

وبدأ هتلر فى إعداد الدولة للحرب .. فعمد إلى زيادة عدد الجيش ليفوق بعشرات المرات مانصّت عليه معاهدة فرساى ، كما أمر ببناء الغواصات والسفن الحربية ، وتشغيل مصانع الأسلحة والذخائر بصورة سرية ، ورصد الأموال الطائلة للأبحاث العسكرية ، وإلى

جانب ذلك اهتم بالاقتصاد الألمانى ونجح فى القضاء على البطالة واستطاع أن يرفع مستوى المعيشة لمواطنيه .

وبدأت خطواته العملية نحو رد الاعتبار لألمانيا والتى أدت فى النهاية إلى نشوب أكبر مجزرة بشرية فى التاريخ وهى الحرب العالمية الثانية .

فى عام ١٩٣٦ قام هتلر بضم منطقة الراين الغنية إلى ألمانيا ، وكانت قد استقطعت بموجب شروط معاهدة فرساى ، وكانت الدول الأوربية غارقة فى مشاكلها السياسية والاقتصادية فلم تحرك ساكناً وتغاضت عما فعله " هتلر " لعله يتوقف عند هذا الحد !!

فى عام ١٩٣٨ قام بضم النمسا إلى ألمانيا وكان دائماً ينادى بأنهما دولة واحدة منذ فجر التاريخ ، وقد حدث ذلك بصورة سلمية ، ورغم القلق الذى بدأ يساور الدول الأوربية إلا أن الجميع أثر وا الصمت .. وبعد عدة أشهر قام هتلر بضم منطقة السوديت التابعة لتشيكوسلوفاكيا إلى ألمانيا ، وبعدها بشهور استولى على باقى البلاد مهدداً الدول الغربية بإعلان الحرب إذا ما تدخلت إحداها ، ولم تكن هناك أى دولة من دول أوربا الغربية مستعدة لخوض غمار الحرب ..

وهكذا أسفر هتلر عن وجهه الحقيقى وصار الحلفاء الغربيون يترقبون الخطوة التالية ، فقد أصبحوا على يقين من أن هتلر لن يتوقف مالم يوقفه أحد !!

كان الجميع يترقبون قيام هتلر بغزو بولندا بين لحظة وأخرى ، وبعد أن عقد ميثاق عدم اعتداء مع " ستالين " ، قامت قواته بغزو بولندا وبعدها بأيام هاجم السوفيت شرق بولندا وكان من الواضح أن الزعيمان " هتلر " و" ستالين " قد اتفقا على تقسيم بولندا فيما بينهما .

وهكذا بدأت الحرب العالمية الثانية فى الأول من سبتمبر عام ١٩٣٩ حيث أعلنت بريطانيا وفرنسا الحرب على ألمانيا ، ولكن بعد فوات الأوان ، فقد انطلقت الجيوش الألمانية القوية لتحتل المزيد من الدول الأوربية فاجتاحت الدنمرك والنرويج فى سنة ١٩٤٠ وتبعتها باحتلال هولندا وبلچيكا ولوكسمبرج ، وكان أهم انتصارات هتلر فى هذا العام غزوه لفرنسا واحتلالها فى يونية من عام ١٩٤٠ ، وبدأت الغارات الألمانية الوحشية على بريطانيا التى كانت فى موقف لا تحسد عليه خاصة بعد انهيار فرنسا .

وتواصلت الانتصارات الألمانية حيث استولت الجيوش النازية على اليونان ويوغوسلافيا ، وأخذت أبواق النازية تعلن على العالم أن الجيوش الألمانية لا تقهر وأن عصر السيطرة الألمانية قد بدأ ، وكانت هذه الانتصارات الساحقة من أهم العوامل التى أدت إلى سقوط هتلر ..

لم يكن هتلر عسكرياً لامعاً فى يوم من الأيام وقد تحققت هذه الانتصارات بفضل عدد من القادة الألمان البارعين .

وكان قرار هتلر بغزو الاتحاد السوفيتى فى سنة ١٩٤١ هو بداية النهاية للرايخ الألمانى ، لقد دهش الجميع عندما علموا بإقدام " هتلر " ، على نقض اتفاقه مع " ستالين " ، وقيام قواته بغزو الاتحاد السوفيتى ، وكان ذلك خطأ استراتيجياً هائلاً فقد راحت القوات النازية تحارب على الجبهة الغربية والجبهة الشرقية فى وقت واحد بالإضافة إلى ضرورة الحفاظ على العديد من الدول التى استولت عليها ألمانيا ، وكذلك خوض ألمانيا الحرب فى شمال أفريقيا ، وفى نهاية عام ١٩٤١ أعلنت الولايات المتحدة الحرب على ألمانيا عقب الهجوم المفاجئ الذى قامت به الطائرات اليابانية حليفة ألمانيا – على الأسطول الأمريكى فى بيرل هاربور . وفى الاتحاد السوفيتى وعلى مشارف موسكو أقبل فصل الشتاء الرهيب مبكراً ليفعل بالجنود الألمان ما عجزت عنه عشرات الجيوش .. وبدأت القوات السوفيتية تقاتل بشراسة بعد أن ضعفت قوة الألمان وغرقت أسلحتهم فى الثلوج والأوحال ، ولحقت بالألمان فى النهاية هزيمة كبرى نظراً لعناد " هتلر " وإصراره الجنونى على الثبات حتى النهاية رغم إلحاح القادة الألمان فى السماح لهم بالانسحاب المنظم ..

وفى نفس العام ١٩٤٢ – تعرضت القوات الألمانية فى شمال أفريقيا لهزيمة ساحقة نتيجة لنقص العتاد والمؤن ، و٠دأ الميزان يميل لصالح قوات الحلفاء وبدأت الشعوب الأوربية تتحرر تدريجياً من سيطرة الألمان ، وأخذت قوات الحلفاء تتقدم من كل ناحية لتحيط

بألمانيا ، ورغم ذلك ورغم الهجمات الجوية الضارية التى كانت تتعرض لها برلين كل ساعة إلا أن " هتلر " ، كان واثقاً من الانتصار !!

ولما أصبحت قوات الحلفاء على بعد خطوات من برلين لم يجد هتلر بداً من الانتحار ليريح العالم من جنونه وطغيانه .



# أنور خوجا

## أكثر الشيوعيين تشددا :

من أعجب الشخصيات التى حيرت العالم شخصية رئيس ألبانيا الراحل" أنور خوجا " الذى تميز بغرابة أطواره وسلوكه العجيب ، لقد أغلق هذا الرجل بلاده تماماً فى وجه جميع الدول الخارجية كما منع أبناء شعبه من مغادرة البلاد لأى سبب كان ، وأصبحت ألبانيا فى عهده تعد سجناً كبيراً مغلقاً على من فيه ولا يعلم أحد شيئاً عما يدور بداخله !!

ولعل أكثر مايلفت الأنظار ويحير العقول فى " أنور خوجا " هو أنه ناصب كبار زعماء الشيوعية فى العالم العداء وادعى أنهم حادوا عن النهج الشيوعى الصحيح وخرجوا عن تعاليم ماركس ونظريات لينين ، فقطع علاقاته مع الاتحاد السوفيتى أولاً ثم مع الصين إحدى الدول الشيوعية الكبرى بعد ذلك ، وأعلن أنه باق إلى الأبد على شيوعيته السليمة !!

ويعد " أنورخوجا " هو أكثر الحكام الشيوعيين تشدداً وتنفيذاً للشيوعية بحرفيتها ، وقد رفض تماماً كل محاولات الإصلاح التى

قام بهـا الشيـوعيون في أى مكان واعـتبـرها خيانة للشـيوعـية ، وهكذا أصبح يقف وحده معزولاً عن الشيوعيين ، أما المعسكر الغربى فقد سبق وقطع خـوجة علاقاته به منذ أن أعلن استقـلال دولة ألبانيا فى سنة ١٩٤٤ ، وهكذا أصبـحت ألبانيا حالة فـريدة بين دول العالم كله ، لاتربطها أى علاقات بدول العالم سواء الشرقية أو الغربية ، كل ذلك بفضل رئيـسهـا المتشدد الذى حـار العالم فى فـهمه لأكـثر من أربعين عاماً .

ونلاحظ أن المعلومات المتاحة عن " أنور خوجا " قليلة للغاية نظراً لعـدم مشـاركـته فى صنع الأحـداث خـلال سنوات حكمـه الطويلة وانعزاله تماماً عن كل المتغيرات الـدولية وإحجامه عن تبادل الزيارات مع زعماء العالم إلا فى حدود ضيقة للغاية .

**الزعيم الأوحد:**

فى عام ١٩٠٨ ولد " أنور خوجا " بألبانيا وكانت فى ذلك الوقت جـزءًا من الدولة العثـمانيـة ، تلقى تعليـمه فـى ألبانيـا ثم فرنسـا ، واجتذبته الـشيوعية بقوة فأصـبح شيوعياً مخلصـاً منذ بداية شبابه وأعلن التزامه بالشيوعية وأصبح ملحداً ينكر جميع الأديان .

فى بداية الثلاثينيات عاد إلى ألبانيـا واشتغل بتدريس العلوم لعدة سنوات مارس خـلالها النشـاط السياسى كـشيوعـى نشط ، وكانت المعارضة على أشدها لنظام الملك الألبانى " أحمد زوغو " ، وفى عام ١٩٤١ تمكن خـوجا مع بعض رفـاقه من تأسـيس الحزب الشـيوعى الألبانى .

وقد تعرضت دول البلقان بما فيها ألبانيا للغزو النازى حيث احتلتها القوات الإيطالية والألمانية ، وتزعم خوجا حركة المقاومة الشيوعية وصار أقوى زعماء الشيوعية فى ألبانيا .

عقب انهزام النازيين وانسحابهم من ألبانيا قام " أنور خوجا " بتشكيل الحكومة الألبانية الأولى وأعلن الجمهورية فى ألبانيا ، كما التزم بالشيوعية الحرفية التزاماً كاملاً .

فى البداية كانت تربطة علاقة قوية بالاتحاد السوفيتى قبلة الشيوعيين ونصيرهم الأكبر كما أقام علاقات مع العديد من دول الكتلة الشرقية بالإضافة إلى الصين .

ومثل باقى الحكام الشيوعيين فرض خوجا نفسه على شعبه ورفض كل أنواع المشاركة الشعبية فى الحكم أو إضفاء أى نوع من أنواع الديمقراطية على حكمه ، كما فرض سياسات صارمة على أبناء شعبه من رقابة قاسية على الصحف وحظر الاجتماعات السياسية التى ينظمها الحزب الشيوعى . وبالطبع فتح السجون على مصراعيها لاستقبال معارضيه لأتفه الأسباب كما منع جميع أنواع الممارسات الدينية وفرض الألحاد على ألبانيا التى يدين معظم أبنائها بالإسلام .

**الصدام مع الشيوعيين :**

كشيوعى متشدد أعلن " خوجا " رفضه وسخطه على جميع أشكال الرأسمالية الغربية وانقطعت صلة بلاده بالغرب تماماً ، وهو أمر طبيعى .

أما غير الطبيعى فهو صدامه مع الشيوعيين تباعاً ، ففى البداية كانت علاقته بالاتحاد السوفيتى على خير مايرام ، ولكن فى عهد " خروتشوف " وعقب إجراء بعض الإصلاحات الضرورية لإنقاذ الأوضاع الاقتصادية من التردى أعلن " خوجا " رفضه لتشويه الشيوعية ، واتهم الشيوعيين فى الاتحاد السوفيتى وفى دول الكتلة الشرقية أيضاً بالعمالة والخيانة !!

واتجه إلى الصين التى كان زعيمها " ماوتسى تونج " حريصاً على التزام النهج الشيوعى ، وكان أيضاً على خلاف مع الاتحاد السوفيتى ، وأصبح " أنور خوجا " يعتمد إعتماداً كلياً على المساعدات التى تقدمها له الصين بعد أن قطع السوفيت المساعدات عنه ، ولكن التطبيق الشيوعى الحرفى أثبت فشله فى الصين أيضاً ، واضطر خلفاء " ماوتسى تونج " لإجراء بعض الإصلاحات مما أغضب " أنور خوجا " وجعله يتهم الصينيين بالعمالة والخيانة أيضاً !!

وهكذا أصبحت ألبانيا تلك الدولة الصغيرة للغاية تقف وحدها تماماً ، ورغم ذلك فقد تشدد زعيمها فى تطبيق سياسة الانغلاق القاسية والتى عرفت بسياسة " ألبانيا المنيعة " والتى تقوم أساساً على اعتماد البلاد على نفسها فى كل شىء ، وحتى وفاة خوجا لم تكن ألبانيا مَدينة لأيّة دولة بدولار واحد .

وفى عام ١٩٨٥ أصيب " أنور خوجا " بجلطة فى المخ وتوفى فى شهر أبريل من نفس العام عن عمر يناهز السابعة والسبعين .

★ ★ ★

# بوكاسا

## الامبراطور المتوحش :

لم نـجـد وصفاً ينطبق علـى هذا الرجل العجيب الـذى أثار دهشة العالم زمـناً خيراً من هذا الـوصف وهو " الامبراطور المـتوحش " . فهل يمكن لمن يعشق أكل لحوم البشـر ويتفنن في إعدادها وتجهيزها إلا أن يطلق عيه المتوحش ؟!

ولم يكتف هذا الرجل العجيب بأكل لحوم البشر بل إنه كان يجاهر بهوايتـه تلك ويعلن على الملأ عشقه لهـا ومن أقواله " المأثورة " فى هذا الصدد :

( لاشـيء يدل على أن الإنسان منافق كـذّاب إلا أنه يتعفف عن أكل لحم الإنسان بينما القنابل تحصده بمئات الألوف وتلقى بهذا البروتين الغنى للوحوش والديدان !! )

ما أعجب الفلسفة إذا جرت على لسان جاهل أحمق !!

ورغم بشاعة " بوكاسا " ووحشيته البالغة في معامة أبناء شعبه المساكين ومذابحه المروعة ومـمارساته الوحشية والتى سنذكر جانبا منها إلا أنه كان يعد مادة فكاهية رائعة أضحكت العالم – ومازالت – لفترة من الزمن ، بل إن سلوكه العجيب خـلال فترة حكمه يعتبر من

أجمل الطرائف التى أضحكت العالم خلال القرن العشرين ، مثله فى ذلك أيضاً الرئيس الأوغندى السابق " عيدى أمين " .. أما " بوساكا " الجاهل الأحمق فلم يكتف بما يعانيه أبناء شعبه المسكين من تعاسة وفقر وهوان بل زاده فقراً على فقر وهواناً على هوان .. لقد وجد الرجل أن قارة أفريقيا الشاسعة التى تضم دولاً متعددة لايوجد بينها امبراطورية واحدة ، فقرر هو أن تصبح دولته الصغيرة الفقيرة الضعيفة هى أول امبراطورية فى القارة الأفريقية وأن يصبح هو " الامبراطور بوكاسا الأول " مؤسس الامبراطورية العظمى .. ويالها من نكتة أضحكت العالم حتى البكاء .

ويكاد سلوك " بوكاسا " يتطابق مع رئيس أوغندا السابق الغريب الأطوار " عيدى أمين " ، كان " عيدى أمين " عملاقاً فارع الجسم ،كما أنه مارس رياضة الملاكمة فترة من الزمن ، وعندما وقع النزاع بين دولته " أوغندا " وجارتها " تنزانيا " دعا " عيدى أمين " العملاق رئيس دولة تنزاينا " جوليوس نيريرى " الضئيل الجسم إلى ساحة الملاكمة لحسم النزاع بين الدولتين !!

فهل رأي أحد أو سمع عن نزاع بين دولتين فى القرن العشرين يتم حله عن طريق حلبة الملاكمة !!

إن الحديث عن عجائب وغرائب هذا الامبراطور الفريد من نوعه فى التاريخ حديث طويل ومشوق حقاً وإن كان لا يخلو من الحزن على ما آل إليه مصير الألوف من شعبه المسكين الذى عانى تحت وطأة

حكمه أكثر بكثير عـما عاناه من المسـتعمرين ، وهذا قدر عدد كبير من الدول الأفـريقيـة التعـيسـة أن يتحكم فـيهم الجـهلة والمجـانـين والمهرجون !!

ولا يظن القارئ لحـظة واحدة أن الأمر مـجرد خيـالات وحكايات طريفـة مسلـية ، بل إن مـا نسـرده خلال السطور الـتاليـة هو واقع وحقيقة لا مراء فيها ، وقد قامت العديد من الصحف ووسائل الإعلام العالميـة بالحديث عن هذا الامبـراطور الغريب الأطوار وظلت أخـباره تشغل الأذهان عدة سنوات ..

**القائد الجاهل :**

من سوء حظ عدد كبير من الدول الأفريقية ودول العالم الثالث أن ابتلت بحكام جـهلة عـديمى الحظ مـن فن القيـادة وحكمـة الزعـمـاء بالإضـافة إلى جـهلهم المطبق وعـدم إلمامـهم بأدنى قـدر من العلوم العسـكرية أو الإدارية ، ولذلك فإنهم اتخـذوا من الديكتاتوريـة درعاً يحتمون خلفه ويسترون ضعفهم وجهلهم ، فكلما ازداد جهل الإنسان كلما ضاق بمعارضيه ورفض أى صورة من صور النقد ..

ولد ( چان بيدل بوكاسا ) فى عام غـير معلوم على وجه الدقة فى البلاد التى تعرف حـالياً باسم أفريقيا الوسطى ، وهى دولة صـغيرة تزيد مساحـتها قليلاً على نصف مليون كيلو مـتر مربع ، وهى دولة داخليـة تقع بالفـعل فى وسط القارة الأفـريقـية لا تملك أية سـواحل بحـرية ، عـانت من الاسـتعـمـار الفـرنسى منذ عـام ١٨٩٤ ، وفى

منتصف الخمسينات وبعد انتشار الوعى بين دول العالم الثالث وتصاعد المد الوطنى بها بدأت الدول الاستعمارية تتخلى عن مستعمراتها وتمنحها الاستقلال ، فى عام ١٩٥٨ منحت فرنسا دولة وسط أفريقيا حكماً ذاتياً كمقدمة لمنحها الاستقلال ، وفى أغسطس من عام ١٩٦٠ ، حصلت وسط أفريقيا على الاستقلال ، فى ظل الحكم الذاتى وحتى سنة ١٩٥٩ تولى رئاسة الحكومة الوطنية "بارتلمى بوجاندا " ، ولكن الرجل لم يشهد تحقق حلمه فى الاستقلال التام لبلاده حيث توفى فى عام ١٩٥٩ ، وخلفه " ديفيد داكو " ، الذى لعب دوراً هاماً فى تاريخ بلاده ..

فى هذه الأثناء كان " چان بيدل بوكاسا " ، يشغل منصب رئيس أركان الجيش فى البلاد ، وكان برتبة " كولونيل " أى " عقيد " ، ولم يحصل " بوكاسا " ، على قدر يذكر من التعليم والتحق بالجيش منذ شبابه المبكر حيث أخذ يترقى من رتبة إلى أخرى لضآلة عدد أفراد الجيش ولضعف خبرة الآخرين ، فلم يكن " بوكاسا " ، ذا قدرات خاصة أو جهود متميزة حتى يشغل هذا المنصب المرموق ، ولكنه كان على قدر ضئيل من الدراسة العسكرية بينما الآخرون لا يعلمون شيئاً على الإطلاق!!

عمد " ديفيد داكو " ، بعد أن تولى الرئاسة فى البلاد إلى تطبيق الحكم الشمولى وقام بتشكيل حزب واحد فى البلاد ورفض مبدأ التعددية الحزبية وبدأ فى ممارسة الأساليب القمعية معلناً عن نيته

فى أن يصبح ديكتاتوراً للبلاد ، ولكنه لم يهنأ بمنصبه طويلاً حيث كان رئيس الأركان " بوكاسا " ، يتطلع لشغل منصب رئيس البلاد فقام بانقلاب عسكرى فى عام ١٩٦٥ ، أطاح بالرئيس "داكو" واستأثر بالسلطة لنفسه ، وبدأت ملهاة حكم " بوكاسا " ، واتخذت من بلاد وسط أفريقيا مسرحاً كبيراً لها ..

**الملهاة الساخرة:**

بدأت فصول هذه الملهاة الساخرة عندما تمكن الضابط " چان بيدل بوكاسا " من الإطاحة بحكم الرئيس " ديفيد داكو " ، سنة ١٩٦٥ وعقب ذلك أعلن حل الحزب الوحيد فى البلاد ، وذلك الحزب الذى شكله داكو بنفسه وهكذا أصبحت البلاد بلا أى منظمات سياسية ، وكانت هذه مجرد مقدمة لما فعله " بوكاسا " فيما بعد .

ولكن قبل أن نستطرد فى استعراض طرائف " بوكاسا " وحكاياته العجيبة لابد أن نلقى الضوء على نشأته وجذوره ، ولد "بوكاسا " فى إحدى القبائل الوثنية ، وعلى الرغم من أن والديه أعلنا اعتناقهما للمسيحية إلا أن سلوكهما ظل كما هو لم يتغير ، فيقال إن والده تزوج من عشر نساء على عادة رجال هذه القبيلة فى تعدد الزوجات بلا حد أقصى ، كما أن قبيلته كغيرها مس القبائل كانت تؤمن بالسحر وتمارس الطقوس البدائية مثل تقديم القرابين البشرية للالهة ، أما إخوة بوكاسا فقد زاد عددهم على خمسة وعشرين .

وهكذا أصبح هذا الجاهل المتخلف رئيساً لدولة من الدول ومسئولاً عن شعب بأسره !!

في سنة ١٩٦٦ قام " بوكاسا " ، بتشكيل حكومة جديدة كان بالطبع هو رئيسها ولكن الأهم من ذلك أنه احتفظ لنفسه بأربع وزارات هى الخارجية والداخلية والمالية والدفاع ، وهى كما نرى أهم الوزارات فى أى دولة من الدول ، أما باقى الوزارات فقد وضع فيها مجموعة من زملائه العسكريين الذين يدينون له بالولاء وكان بيكاسو خيرهم وأكثرهم خبرة!!

ومنذ هذا التاريخ ظل " بوكاسا " يمارس حكماً ديكتاتورياً ظالماً فى بلاده ، لم يكن هناك أى شكل من أشكال الديمقراطية ، وقد حرم الشعب المسكين من أهم الخدمات الأساسية ولا سيما التعليم ، ولكن تصرفات الرئيس لم تستلفت الأنظار حيث لم تختلف عما يفعله عشرات غيره من الطغاة .

كانت أول المؤشرات على غرور الرجل وجهله عندما أعلن نفسه رئيساً للبلاد مدى الحياة فى سنة ١٩٧٢ ، هكذا منح نفسه حق البقاء فى مقعد الرئاسة حتى النهاية ، وبعد ذلك بعامين رفع رتبته العسكرية من كولونيل إلى " ماريشال " دفعة واحدة ، وبالطبع كان بإمكانه أن يفعل ما يشاء فلا أحد يحاسبه بعد أن أحكم الحصار حول أبناء شعبه التعساء .

**امبراطورية وسط أفريقيا :**

دولة وسط أفريقيا كما ذكرنا تعد من أفقر دول العالم وأكثرها تخلفاً ، فهى دولة صغيرة محدودة الموارد ، فى سنة ١٩٧٦ كان متوسط دخل الفرد فيها سنوياً لا يتعدى خمسين دولاراً ، واعتبرت بذلك من أفقر دول العالم وليت حاكمها " بوكاسا " ، كان يدرك هذه الحقائق المؤلمة ويحاول تحسين مستوى المعيشة لشعبه المسكين وينتشل أفراده من وهدة الجهل والتخلف والمرض ويمهد له سبيل الحياة الكريمة ..

ولكن ما فعله بوكاسا كان مفاجأة للعالم أجمع ، فقد أدهش بوكاسا العالم فى الرابع من ديسمبر عام ١٩٧٦ ، عندما أعلن إلغاء الجمهورية فى البلاد وأعلن نفسه امبراطوراً على امبراطورية وسط أفريقيا تحت اسم الامبراطور " چان بيدل بوكاسا الأول " ، أما زوجته " كاترين " فقد أعلنها امبراطورة أيضاً !!

أقيمت فى البلاد احتفالات أسطورية تتويج الامبراطور وزوجته وسط حشد من رؤساء الدول والحكومات الذين لبوا دعوة " بوكاسا " ، وخلال الحفل شاهد الجميع كرسى العرش الذى كلف الامبراطور عدداً من كبار فنانى العالم فى إعداده وتبهيزه ليكون تحفة نادرة .

أما التاج الذى وضعه الامبراطور على رأسه.فكانت تتوسطه إحدى الماسات النادرة فى العالم وتم صنعه من الماس والياقوت

والزمرد ، وكان هو أيضاً تحفة ثمينة ..

وقد تكلفت هذه الاحتفالات الأسطورية الملايين وتركت خزائن البلاد خاوية على عروشها ، ولولا ما كان يحصل عليه " بوكاسا " ، من معونات اقتصادية من فرنسا والولايات المتحدة لانهارت دولته تماماً .. كان " بوكاسا " ، مسطيراً على كل نواحى الحياة فى بلاده التعيسة لدرجة تحكمه فى مرفق الكهرباء ليرغم المواطنين على النوم مبكراً !!

أما الإذاعة فلم يكن لها عمل سوى إذاعة أخباره وحركاته وكلماته .

وخلال عهده تدهورت أحوال البلاد بصورة كبيرة فانتكست الزراعة وتدهور الاقتصاد ولم تشهد الصناعة أى نوع من التقدم أو التطوير .

**نوادر بوكاسا :**

بالإضافة إلى النكتة الكبرى وهى تحويل البلاد إلى امبراطورية ، فإن سيرة بوكاسا لا تخلو من الطرائف الشيقة ، ومن ذلك أنه حاول إقامة علاقات دبلوماسية مع ليبيا فاشترط عليه رئيسها أن يعلن إسلامه حتى يمنحه مبلغ ٢٥ مليون جنيه استرلينى ، فأعلن " بوكاسا " إسلامه وأطلق على نفسه اسم " صلاح الدين أحمد مجاهد " ، وكان ينوى خداع حاكم ليبيا ، فلم يقم بتنفيذ الاتفاق

بنشـر الإسـلام فى بلاده وهنا انقطعت المنحـة وعلى الفـور أعلن " بوكاسـا " ، ارتداده عن الإسلام والعودة إلى المسـيحية وإلى اسـمه السابق " چان بيدل بوكاسا " !!

أصدر " بوكـاسا " قراراً عـجيباً بمنع الوزارء وأفراد شعـبه من مناداته بـلقب الأب !! وبدلاً من ذلك عليـهم أن ينادوه " بالسـيـد الرئيس مدى الحياة " أو " السيد الفيلد مارشال " !!

أما بعد أن صـار امبراطوراً فكان على الرعيـة أن ينادوه " بالسيد الامبراطور المقدس " .

ويقال إن " بـوكاسا " مـثل والده تزوج بعـشر نساء وكـانت له ضـعفهن من العشيقات ، وقد أنـجب حوالى ٥٤ ولداً .

حكم " بوكاسا " بلاده حكماً عجيـباً غابت فيه كل أشكال وصور الحكم المعاصر ، فـلا توجد هيئة استـشارية ولا برلمان حتى الوزراء كانوا مجرد صور فقط .

**مذبحة الأطفال :**

تغاضت الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا عن الحكم الديكتاتورى لبوكاسا باعتباره أداة طيعة فى أيديهما لتنفيذ سياساتهما فى أفريقيا ، فقد احتفظت فرنسا بعدة قواعد بالبلاد بينما كانت الولايات المتحدة فى صراع شديد مع الاتحاد السوڤيتى السابق وتحاول أن تسد عليه المنافذ للتسلل إلى دول جديدة .

ولكن جنون " بوكاسا " وطغيانه فاقا كل الحدود ، وكانت أفظع ممارسات " بوكاسا " ، ما حدث فى ابريل عام ١٩٧٦ ..

كان " بوكاسا " قد احتكر استيراد نوع معين من القماش وفرض زياً معيناً على تلاميذ المدارس الابتدائية يتم صنعه من القماش ، بالإضافة إلى ذلك فقد فرض سعراً عالياً لشراء هذا الزى وكان على الأهالى المساكين الشراء وإلا فمصيرهم معروف .. عم التذمر والغضب أنحاء البلاد وتجرأ الأطفال وقاموا بمظاهرة صغيرة تهتف بسقوط الطاغية الذى ما أن سمع بما حدث حتى استشاط غضباً وهرع على رأس قوة من رجاله حاصرت الأطفال المساكين وحبستهم فى قبو إحدى المدارس ، ووقف " بوكاسا " على رأس جنوده وانتقى عدداً من زعماء المظاهرة وقام بذبحهم بنفسه فى واحدة من أبشع صور الظلم والطغيان التى مارسها حاكم ضد أبناء شعبه .

وفى ذلك اليوم تم ذبح ٣٢ تلميذاً أمام زملائهم ، وعندما وصل الخبر إلى دول العالم من خلال وكالات الأنباء اندلعت موجة من السخط والاستنكار فى جميع أنحاء العالم تندد بما فعله " بوكاسا " وعلى الفور قررت فرنسا والولايات المتحدة قطع المعونات الاقتصادية عنه ، وكان ذلك إيذاناً بزوال حكمه البغيض ، فخلال رحلته إلى ليبيا لطلب المعونة وقع ضده انقلاب عسكرى أطاح بحكمه فى سبتمبر من عام ١٩٧٩ ، وقاد هذا الانقلاب " ديفيد داكو " الرئيس السابق والذى اضطر " بوكاسا " ، لتعينه مستشاراً ليخفف من غضب

الجمـاهير ، وكان قد تعـرض لعدد من الأنقلابات الفـاشلة فى أعوام ١٩٦٩ ، ١٩٧٣ ، ١٩٧٤ ١٩٧٦ ، وكـان الجـيش فى صـــفـه دائمـاً بفضل المخـصصات الكبـيرة التى يمنحهـا لأفراده ، أما بعـد المذبحة الشهيرة فإن الجميع أعلنوا مقتهم له ..

ومـما يرويه مسـاعدوه أنه كان يعشق أكل لحوم البشـر وخاصة الأطفال ، وأنه كان ينتـقى بعض الأطفال الذين يصلحون ( للأكل ) ، ويأمر بذبحهم ، ويقال إنه عقب الإطاحة به تم العثور فى ثلاجته على جثة طفل صغير متبّلة ومعدةً للأكل !!

ومن أقواله فى هذا الصدد :

( إن لحم الإنسان لا يحتاج إلى ملح .. فهـو شديد الملوحة وحينما تجربونه ستعرفون كم هو لذيذ ورائع !! ) .

وقد مـات " بوكاسا " فى منفـاه عام ١٩٩٦ ، بعـد أن ترك خلفه سجلاً مثقلاً بالخزى والعار .



# رودلف هيس

## أغلى سجين فى العالم:

أغلى سجين فى العالم ، وأشهر سجين فى العالم ، وأعجب سجين فى العالم ، وغيرها من الألقاب المثيرة التى أطلقت على شخص واحد أثار حيرة العالم ومازال حتى اليوم ، إنه الزعيم النازى رودلف هيس الذى أذهل العالم حينما أقدم على مغامرته المثيرة وقاد طائرته بنفسه ليهبط بها فى اسكتلندا أحد أجزاء بريطانيا العدو اللدود لبلاده ألمانيا ، وكان ذلك خلال أصعب فترات الحرب العالمية الثانية حيث كانت الطائرات الألمانية تصب آلاف الأطنان من القنابل فوق بريطانيا كل يوم .

لم يصدق البريطانيون أنفسهم ولم يصدق العالم وهم يسمعون هذا النبأ الغريب ، ويظل هيس أسيراً فى أيدى الحلفاء عدة سنوات طويلة ، لم تحرسه دولة واحدة ولكن أربع دول كانت تتناوب على حراسته ، ليس ذلك فقط ، بل كان هذا السجين الوحيد فى هذه القلعة الحصينة والتى أعدت كسجن حصين له لايستطيع منه فكاكاً .

حير العالم بصمته المتواصل وهدوئه العجيب وولائه للنازية برغم

انهيارها واحترامه لزعيمه هتلر رغم كل ماجلبه عليه وعلى بلاده من دمار وخراب ، والأغرب من ذلك أن " هتلر " اتهمه علناً بالجنون والسفه وتنصل من كل مسئولية تجاهه ، وأكد مراراً أنه لم يكن يعرف شيئاً عن مبادرة هيس ، ورغم كل ذلك فلم يتزحزح الرجل عن إيمانه بزعيمه الذى يكن له كل حب وتقدير ويعتبره رمزاً لقوة ألمانيا وباعثاً لمجدها ومعقد آمالها .

ومن المؤكد أن هناك الكثير والكثير الذى لم يرو عن هذا اللغز العجيب الذى فرضه على العالم هذا الزعيم النازى الغريب الأطوار ، كما أن هناك أسراراً كثيرة مازالت فى طى الخفاء وتتعلق بالحرب العالمية الثانية وبصفة خاصة الاتفاقات السرية والصفقات الخفية التى لم يعرف العالم عنها شيئاً ، وفى كلمة لأحد كبار المؤرخين العسكريين قال أن الحرب العالمية الثانية ستظل هى أهم أحداث العالم لمدة ثلاثمائة سنة قادمة ، وربما كان هذا القول مبالغ فيه ولكن المؤكد أن هذا الحدث الضخم سيظل من أهم مصادر الإثارة والجذب دائماً .

**الرجل الثانى :**

نعود إلى " رودلف هيس " ذلك السجين الذى حير العالم زمناً ، ونقول إنه ولد فى بلاد الشرق وبالتحديد فى مصر حيث كان والده يعمل بالتجارة ، وقد ولد فى سنة ١٨٩٤ فى مدينة الإسكندرية التى كانت مركزاً هاماً للتجارة وعاشت بها جاليات أجنبية كثيرة ، ثم رحلت الأسرة إلى ألمانيا مرة أخرى حيث تلقى الصغير علومه .

شارك " رودلف هيس " فى معارك الحرب العالمية الأولى وكانت نتائج الحرب بمثابة صدمة له ، وكما كانت معاهدة فرساى والشروط المجحفة التى فرضت على ألمانيا من أهم الأسباب التى أدت إلى ظهور الطاغية المجنون " هتلر " ، فقد أدت هذه العوامل أيضاً إلى تطرف هذا الشاب الهادئ وأشعلت فى نفسه الثورة وجعلته ينادى بالثأر من الذين أذلوا ألمانيا بعد هزيمتها فى الحرب .

كان أولئك الشباب المتطرفون الذين يشعرون بالجرح والمهانة هم نواة الحزب النازى ، وكما أوضحنا فى معرض حديثنا عن " هتلر " فقد نجح هذا الزعيم فى السيطرة على عقول أعضاء الحزب وفرض عليهم نمط سلوكه المتطرف ، وكانت الظروف الصعبة التى تمر بها البلاد من أهم العوامل التى ساعدت على نمو الحزب النازى ليصير أكبر الأحزاب الألمانية وأكثرها شعبية .

،كان أكبر أعضاء الحزب وأكثرهم ولاءً وحباً لزعيمه هتلر هو " رودلف هيس " الذى كان بدوره يثق فى " هيس " ويوكل إليه المهام الحساسة ويعتمد عليه كثيراً ، وعندما قام " هتلر " بتشكيل الحكومة الألمانية فى سنة ١٩٣٣ كان " هيس " يتولى منصب رئيس الدائرة السياسية فى الحزب النازى .

وعندما اندلعت الحرب العالمية الثانية كان " هيس " نائباً لهتلر ومن أقرب المقربين إليه .

**المغامرة العجيبة :**

حققت القوات الـنازية انتصارات ساحقة فى كافـة الميادين وقامت باحـتلال عـدد كبـير من الدول وعلىرأس هذه الدول فـرنسا إحـدى الدول المناهضة لسياسة ألمانيا فى غرب أوربا .

وفى عام ١٩٤١ كـانت بريطانيـا تقف صامـدة فى وجه الطغـيان النازى وتعرضت لآلاف الغـارات الجوية التى فشلت فى إخضـاعها ، وكان " هتلر " ينوى غزو روسيا أى فتح جبهة أخرى للقتال ، ولكن " معـركة بريطانيـا " كانت تؤرقـه نظراً للصمـود الرائع الذى أبداه الشعب الإنـجليـزى ، وفى هذا الجو الملبد بغيوم الحـرب والدمار قام " رودلف هيس " نائب الزعيم الألمانى " هتلر " برحلته العجيبة إلى بريطانيا ، بل إنه قاد طائرته بنفسه وهبط فى اسكتلندا ، وقد عرض " هيس " نفسه لمخـاطرة هائلة بقـيادته الطـائرة فوق هذه المنطقـة الخطرة ، وعندما هـبط بسلام تمت محـاصرة طائرته وإلقـاء القبض عليه على الفور وتفتيش الطائرة بدقة .

فى البداية لم يصدق البريطانيون أنفسهم عندما أخبرهم الطيار انه " رودلف هيـس " الزعـيم النـازى ونائب " هتلـر " ، وأنه جـاء للتفاوض من أجل إحلال السلام بين ألمانيا وبريطانيا !!

عندما تحـقق البريطانيون من شخـصية الرجل أدركوا انـه حقاً " رودلف هيس " وأنه جـاءهم يعـرض السـلام أخذهم العـجب لعـدة أسباب :

– فلماذا تتم مبادرة السلام على هذه الصورة العجيبة ؟ ولماذا لاتتم من خلال القنوات الدبلوماسية المتعارف عليها ؟

– كيف يفكر " هتلر " المتطرف المغرور بقوته فى مد يده بالسلام إلى بريطانيا رغم أنه فى أوج قوته وانتصاراته ، كما أنه يعلم جيداً مدى معاناة بريطانيا تحت وطأة الهجمات التى يشنها الطيران الألمانى الأكثر تفوقاً ؟ !

– كيف نجح رجل فى سن " رودلف هيس " – كان يبلغ من العمر فى هذا الوقت ٤٧ عاماً – فى القيام بتلك المغامرة المثيرة وقيادة طائرته وحده وسط هذه المخاطر الشديدة ؟ !

– هل يمكن أن تكون هذه إحدى الخدع التى برع فيها هتلر هو وأجهزته طوال سنوات حكمه مما جعل الجميع لايثقون فيه على الإطلاق ؟!

## السجن حتى الموت :

رغم أن الحرب العالمية الثانية استمرت عدة سنوات بعد ذلك إلا أن كل شىء قد انتهى عند " رودلف هيس " وكان آخر عهده بالحرية هى تلك الليلة التى خاض فيها رحلته المثيرة مستقلاً طائرته .. فبعدها قرر البريطانيون إلقاء القبض عليه وتمت معاملته كأسير من أسرى الحرب وإن كان ذا شأن خاص حقاً !!

وعقب إذاعة بريطانيا خبر إلقاء القبض على " رودلف هيس "

أعلنت ألمانيا النازية أنه مجنون وأنه قام برحلتـه بمبادرة شخصية منه دون علم القيادة الألمانية .

وقيل بعـد ذلك إن هذه المبادرة ماكانت لتتم بدون موافقـة الزعيم هتلر ، وإنه قـد تم الاتفـاق علـى أن يكون " هيس " هو الضـحـيـة لضمان خروج بريطانيا من الحـرب وإبعادها من التدخل فى مجريات الأمور ، وكـانت هذه هى الطريقة الوحيـدة التى تكفل توقيع اتفاقـية سلام مع بريطانيا بعد اندلاع الحرب .

وعقب هزيمة ألمانيـا واستسـلامها بدون شـروط فى عام ١٩٤٥ ، تمت 'إعادة " هيس " إلى ألمانيـا لتقديمه للمحاكـمة هو وزملاؤه من النازيين بتـهمـة ارتكاب جـرائم حرب ومـحـاكمـات " نورمبـرج " الشهيرة ، ولما كان " هيس " قد قـضى معظم سنوات الحرب أسيراً فى انـجلتـرا فلم يصـدر عليـه الحكم بالإعـدام مثل عـدد كـبيـر من النازيين ، وحكم عليه بالسجن المؤبد مع كثيرين .

ثم وضـع الســجناء فى قلعة " سـبانداو " الحـصيـنة فى مـدينة برلين ، وكـانت المدينـة قـد قـسمـت إلى أربعـة أجـزاء بين الحلفـاء المنتـصـرين فى الحرب هم الـولايات المتحـدة والاتحـاد الســوفـيـتى وبريطانيـا وفرنسـا ، وكانت القلعـة تقع فى الجزء البـريطانى ، وتم لاتفاق عـلى أن تتولى الدول الأربعـة حراسة الـسجن .

وبعد حوالى عشرين عاماً من انتهاء الحرب تم إطلاق سراح جميع سجناء النازيـين فى سجن " سبـانداو " لأسباب صـحية عـدا سجين

واحد فقط وهو " رودلف هيس " الذى عارض الاتحاد السوفيتى فى إطلاق سراحه عدة مرات ، كما أن الدول الغربية المتحالفة لم تتفق بشأنه ، ليظل طيلة هذه السنوات هو السجين الوحيد الذى تتولى حراسته الدول الأربع الكبرى فى العالم وتتكنف عملية حراسته الملايين .

وفى السابع عشر من شهر أغسطس عام ١٩٨٧ توفى الزعيم النازى " رودلف هيس " عن عمر يناهز الثالثة والتسعين .



# شاوشيسكو

نيكولاى شـاوشيسـكو شخصـية عـاشت ملء السمع والأبـصار قرابة ربع قـرن من الزمان ، كان ينظر إليـها نظرة احتـرام وتقدير ، فهو الرجل الذى جرء على أن يقول لا للمـارد السوفيتى إبان مجده ، وهو الذى رفض وصاية الاتحـاد السوفيتى على بلاده رومـانيا التى كانت جـزءًا من المعسكر الاشتـراكى قبيل انهـيار الشيوعـية .. وهو أيضاً أحـد الوسطاء الدوليين الموثوق بهم والذى تصـدى لحل العديد من المشاكل ذات الحساسية الخاصة .

ولكنه فى النهاية هـو الحاكم الذى أعدمه شـعبه بعـد أن ثار عليه ثورة عـارمة وحكم عـليه بالإعـدام جـزاء خيـانته لـلشعب وإزهاقـه عشرات الآلاف من الأرواح دون وجه حق .

وعقب وفاته عرف العالم الجـانب الآخر الخفى لهذا انبطل ، وأدرك العـالم مدى الظلم الذى تعـرض له أفـراد الشعب الرومـانى المسكين تحت وطأة الحكم الديكتاتورى لشاوشيسكو .

**البداية :**

كانت البداية براقة وزاهية أمام العـالم الذى كان منقسماً فى هذه

الفتـرة إلى معـسكرين أحدهمـا المعسكر الـغربى بقيـادة الولايات المتحدة الأمريكية والآخر المعسكر الشرقى بقيادة الاتحاد السوڤيتى ، وكانـت الحرب الباردة بينهما فى أوجـها ، وفى سنة ١٩٦٥ ظهر فى الأفق نـجم " نيكولاى شاوشيسكو " بشعره الأشقر المجعد ووجهه الدقيق الملامح ، ومنذ اليـوم الأول لتوليه السلطة أعلن اتخاذه مـوقفاً استقلالياً عن الاتحاد السوڤيتى والمعسكر الشرقي بصفة عامة سواء من ناحية الســياسات الخارجية أو التطبـيق الاشتراكى فى الداخل .. وقد دعم موقفه وجود الولايات المتحدة الأمريكية وتأييدها لسياساته المستقلة .

ومن أبرز المواقف التى اتخذها شـاوشيسكو رفضــه الاشتراك مع قـوات حلف وارسو فى غـزو تشـيكوسلوفـاكـيا عـام ١٩٦٨ لقـمع الانتفاضة الوطنيـة بها ، ورفضه تأييد الغزو السوڤيـتى لأفغانستان فى عام ١٩٧٩ ، وكـذلك رفضه نشر الصـواريخ النووية السوڤيتـية من طراز ( اس . اس ) على الأراضى الرومانية .

وقد تميزت العلاقات الخارجية لتشاوشيسكو بالتوازن والحياد إلى حد بعيـد ، حيث نـجح – رغم ذلك – فى الاحتفـاظ بروابط قوية مع دول الكتلة الشـرقـية والاتحـاد السـوڤيـتى ، كـما ارتـبط بعلاقـات الصداقة مع دول العالم الثالث – ومنهـا مصر – بالإضافة إلى الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة .

أما عن الأحوال الاقتصادية والظروف المعـيشية فلم يعرف العالم

حقيقة الأوضاع القائمة فى جمهورية رومانيا إلا بعد اندلاع الثورة بها .. ففى رومانيا وباقى الدول الشيوعية دأبت وسائل الإعلام الموجه إلى تقديم الصور البراقة للأوضاع الاقتصادية والتطور الصناعى والزراعى الكبير بها ، بالإضافة إلى تقديم صورة رائعة للأسرة فى هذه البلاد ، ولم يعرف العالم الحقيقة إلا بعد الانهيار الكبير للشيوعية حيث كان هناك تعتيم إعلامى بالغ فى كل هذه الأقطار .

**النهاية :**

جاءت النهاية سريعة جداً حيث تتابعت الأحداث بصورة عجيبة للغاية فى كل دول المعسكر الشرقى ، وقد كان العامل الحاسم وراء كل هذه التغيرات هو وصول الزعيم السوفيتى " ميخائيل جورباتشوف " إلى قمة السلطة فى الاتحاد السوفيتى ، لقد انتهج " جورباتشوف " مايعرف بسياسة البروسترويكا والجلاسونست أى المصارحة وإعادة البناء ، وهنا تفجرت براكين الغضب وبدأت الحقائق تظهر تباعاً وعرف العالم مدى التدهور الذى أصاب اقتصاديات الدول الشيوعية عموماً ، وبدأت حركات المعارضة تعمل بصورة فعالة ، ففى بولندا استطاعت حركة التضامن العمالية تأليب العمال ضد الحزب الشيوعى ، وبدأ العد التنازلى للحكم الشيوعى فى كل دول الكتلة الشرقية بداية من بولندا ثم المجر وألمانيا الشرقية وتشيكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا وبلغاريا وأخيراً رومانيا .

فى العشرين من نوفمبر عام ١٩٨٩ عقد المؤتمر العام للحزب الشيوعى الرومانى وتم إعادة انتخاب شاوشيسكو رئيساً لفترة جديدة تبلغ خمس سنوات ، وفى هذا المؤتمر ظهرت بوادر التوتر والقلق فى الأجواء الرومانية بصفة عامة .. فلم يكن من الممكن إخفاء أنباء الاضطرابات والانهيار المتوالى للأنظمة الشيوعية ، وكان الشعب الرومانى يتحرق شوقاً لنيل حريته والتخلص من زبانيته .

كان الشعب يعانى أشد المعاناة من نقص المواد الغذائية الأساسية من سكر وبيض وزبد ولحوم ، ومن أجل الحصول على أى منها كان على المواطن أن يقف ساعات طوال قد لايحصل بعدها على شىء نظراً لنفاد المعروض !!

وقد بلغت المعاناة الذروة عندما قامت الحكومة بتخفيض حصص الكهرباء للمواطنين مما أدى إلى تجمد الكثيرين من البرد فى شتاء رومانيا القارس .

وعلى الجانب الآخر كان الإسراف الشديد هو السمة الغالبة على نفقات الديكتاتور وحاشيته ، حيث كان شاوشيسكو يقوم بتجهيز قصره الجديد الذى يضارع أجمل قصور العالم وأكثرها اتساعاً ، وقد تمت إزالة عشرات المساكن فى وسط العاصمة بوخارست من أجل تشييد هذا القصر .

كما كان لشاوشيسكو خمس قصور للسكن و٣٩ بيتاً للضيافة و٢١ شقة رئاسية ، وبالإضافة إلى ذلك كان يمتلك تسع طائرات

فاخرة بالإضافة إلى ثلاث طائرات هليوكوبتر وثلاث قطارات رئاسية .

وفى كل يوم كان الرئيس يرتدى بدلة جديدة وحذاء ولايعود لارتدائها بعد ذلك بل تجمع وتحرق !!

أما عن إسراف زوجته " إيلينا " وأبنائه وحاشيته فقد بلغ حداً لايصدقه عقل .

وبدأت الثورة فى يوم السبت السادس عشر من ديسمبر عام ١٩٨٩ حيث حاولت قوات الأمن اعتقال قس من أصل مجرى يقيم فى بلدة صغيرة على الحدود الشمالية الغربية لرومانيا بتهمة معارضة الحكومة ، ولكن المواطنين أحاطوا بمنزل القس وتصدوا ببسالة لقوات الأمن ، وفى اليوم التالى ازدادت الثورة اشتعالاً بعد انضمام المئات من المواطنين إلى المتظاهرين ، وصدرت التعليمات من زوجة شاوشيسكو- الذى كان فى زيارة لإيران - بإطلاق النار على المواطنين مما تسبب فى وفاة العشرات ، والعجيب فى الأمر أن المعارضة ازدادت وانتشرت فى العديد من المدن ، عاد الرئيس من الخارج وطلب من وزير دفاعه الضرب بقوة ، ولكن وزير الدفاع قال : إن الجيش لايستطيع قتل ٢٣ مليون مواطن هم كل تعداد رومانيا، وانضم جنود الأمن وقوات الجيش تباعاً إلى جموع المتظاهرين .

وعندما شعر شاوشيسكو باقتراب النهاية استقل طائرته هارباً ، وفطن عدد من جنود الجيش إلى أنه سوف يتحصن فى مدينة

( تيرجوفست ) التى أنشأها خصيصاً ليقيم فيها فى حالة الطوارئ . فتمكنوا من القبض عليه هو وأفراد أسرته . وبعد محاكمة عاجلة تم إعدام شاوشيسكو وزوجته رمياً بالرصاص .



# صدام حسين

## هولاكو القرن العشرين :

أطلق عليه هولاكو القرن العشرين لـنزعته العدوانية الشديدة التى جعلته يفتك بأبناء شعبه المسكين ويقوم بمهاجمة جارته المسلمة إيران ، وليخـوض معـها أطول الحروب فى القـرن العشـرين ، وليت الأمر توقف عند هذا الحد بل أحدث الفتنة الكبـرى بين الدول العربية عندما باغت العـالم أجـمع بالهـجـوم المفـاجئ والغـادر ضـد دولة الكويت الصغـيرة واحـتلالها فى سـاعات والادعـاء بأنها إحـدى المحافظات العراقـية ، ومـاتبع ذلك من أهوال شديدة عـانت منها منطقـة الخليج العـربى ومازال الشـعب العـراقى يعانى منهـا بعـدما دمـرت بنيتـه الأساسية وعاد إلى القرون الوسطى !!

ولعلنا لمسنا الكثـير من هذه الأهوال التى عاشـتها منطقـة الشرق الأوسط خلال حقـبة الثمانينات والتسعـينات من هذا القرن ، ومازلنا نشاهد كل يوم صور الخراب والدمار فى مدن العراق تطالعنا عيون الأطفـال العراقـيين الذابلة ووجوهـهم التى تحاكى وجـوه الموتى من جراء سوء التغذية ونقص الأدوية .

والمتتبع لسيرة " صدام حسين " يجد أن حياة هذا الطاغية تتشابه كثيراً مع باقى الطغاة الذين أجادوا حبك المؤامرات والتخلص من خصومهم بأحط الوسائل من أجل الوصول إلى قمة السلطة ، وتمتزج الدراما بالكوميديا ونحن نطالع سيرة هذا الطاغية .

ولد " صدام حسين " فى عام ١٩٣٥ فى مدينة تكريت العراقية ، وعرف منذ صغره بنزعته العدوانية وشراسته وقد انضم فى بداية حياته إلى صفوف حزب البعث العراقى الذى تمكن من الاستيلاء على السلطة فى عام ١٩٦٨ وكان " صدام حسين " هو الرجل القوى فى العراق ، واستطاع " صدام حسين " أن ينفرد بالسلطة المطلقة فى البلاد بعد إقصاء الرئيس العراقى " أحمد حسن البكر " .

**عودة إلى الوراء :**

حتى سنة ١٩٨٠ كانت العراق هى أغنى وأقوى الدول العربية ، حيث كان اقتصادها يبشر بمعدلات نمو غير مسبوقة بين الدول العربية ، وكانت العراق مؤهلة لتحقيق وثبة هائلة حيث تملك ثروة نفطية كبرى ويتجاوز معدل إنتاجها من البترول مليونى برميل يومياً ، ولم يقتصر الأمر على ذلك فالعراق يمتلك مساحات شاسعة من أخصب الأراضى فى العالم وتتوافر لديه الأنهار وآبار الرى بالإضافة إلى وجود قاعدة عريضة من الفنيين والعمال العراقيين الذين حصلوا على مؤهلات مناسبة ، وحتى سنة ١٩٧٩ لم يكن العراق مديناً لأية دولة خارجية بدولار واحد ، فهو من أغنى دول

العالم ولا حاجة به إلى الاقتراض ، كما أن ثرواته البترولية كانت تكفيه لتمويل خطط التنمية الطموحة ، وكان العراق بصدد تحقيق ثورة زراعية كبرى ، وكان بالفعل يمتلك كل مؤسلات الثورة الزراعية والصناعية أيضاً ، وكانت المصانع العراقية الكبرى قد بدأت تنتشر فى طول البلاد وعرضها مبشرة بانطلاقة عظمى لإحدى الدول العربية الإسلامية .

ولكن كان هناك من حوّل كل هذه الأحلام إلى كابوس طويل وبدّل نهار بغداد المشرق إلى ليل حالك الظلام لم ينته حتى الآن .

## أطول حرب فى القرن العشرين :

لقد وسوس الشيطان فى نفس " صدام حسين " بأنه مبعوث العناية الإلهية لإقامة امبراطورية كبرى ، وكانت البداية عندما وجه نظره تجاه الشرق وبالتحديد إلى إيران التى كانت قد اقتطعت أجزاء من شط العرب العراقى بموجب اتفاقية وقعت أثناء حكم شاه إيران " محمد رضا بهلوى " ، وكان عدد كبير من العراقيين يرى أن العراق قد ظلم فى هذه المعاهدة ، وذهل العالم وهو يرى القوات العراقية تهاجم القوات الإيرانية بغية استعادة هذه الأجزاء من شط العرب .

كان ذلك فى عام ١٩٨٠ ، واندلعت أطول حرب فى القرن العشرين وهى الحرب العراقية الإيرانية أو حرب الخليج الأولى والتى استمرت حتى سنة ١٩٨٨ حينما فوجئ العالم بإعلان إيران قبول وقف إطلاق

النار الذى عرضه العراق مراراً .. ثمانى سنوات من الحرب الدامية قتل فيها مايزيد من مليون عراقى من خيرة الشباب ودمرت فيها مئات المبانى والمرافق وأسقطت فيها عشرات الطائرات وأغرقت مئات السفن ، وخلال هذه الحرب المجنونة سمع العالم لأول مرة عما عرف بحرب المدن ، حيث استخدمت كلتا الدولتين الصواريخ طويلة المدى لضرب مدن الدولة الأخرى مما أحدث إصابات فادحة وأزال أحياء بأكملها من على وجه الأرض .

وكانت النتيجة فى نهاية الحرب خروج العراق مديناً بمئات الألوف من الدولارات أنفقها على شراء الأسلحة والمستلزمات الحربية الضرورية ، وأصبحت الحدود بين العراق وإيران هى نفس الحدود التى كانت عليها قبيل نشوب هذه الحرب المجنونة !!!

**جنون العظمة :**

وَرغم كل هذه الخسائر الفادحة والخراب الشديد الذى حل بكل أرجاء العراق وأدخل الحزن فى كل قلب عراقى فإن " صدام حسين " لم يكف عن طغيانه ، ففى العراق توجد ملايين الصور لصدام فى جميع الشوارع والميادين ووسائل المواصلات والمصالح الحكومية والمحال التجارية .. بل إن صورته توجد داخل جميع المنازل .. فقد نجح هو وزبانيته فى إدخال الفزع والرعب فى قلوب مواطنيه التعساء .

وليت الأمر توقف عند ذلك فقط ، فقد أطلق على " صدام حسين "





ثمانية وتسعين اسماً كل اسم منها يبدأ بالقائد ، وتحمل هذه الأسماء صفات القوة والعظمة وقد طبعت هذه الأسماء فى وثيقة رسمية على العراقيين أن يشتروها ويضعوها فى المكان المناسب بجوار صور الزعيم !!

ومن أمثلة هذه الأسماء : القائد العظيم – القائد المظفر – القائد الفذ – القائد الشجاع – القائد التاريخى – القائد الحكيم – القائد الأمين – القائد المبدع – القائد المفكر .. إلى آخر القائمة التى تثير الغثيان .. ونتعجب جميعاً لماذا جعلها ثمانية وتسعين اسماً ؟! ونترك للقارئ الإجابة بفطنته !!

**الفتنة الكبرى:**

كان حرياً بإنسان جرّ على بلاده هذا الخراب والدمار وحولها من دولة غنية فتية إلى دولة مدينة محطمة أن يختفى عن الأنظار ويترك الحكم لمن هو أهله ، ولكن الذى حدث هو العكس !!

لقد عميت بصيرة هذا الرجل وازداد عنفاً وشراسة ، ومن أجل تعويض خسائره الفادحة هداه تفكيره الشاذ إلى القيام بمغامرته الثانية والتى قضت تماماً على قوة الشعب العراقى وعرضته لإذلال ومهانة لم يتعرض لهما شعب فى العصر الحديث .

لقد أفاق العالم فى صباح الثانى من أغسطس عام ١٩٩٠ على خبر غريب مؤداه أن جحافل القوات العراقية اجتاحت الحدود الكويتية

واستطاعت ان تحتل تلك الدولة الصغيرة التى تقع إلى جنوب العراق ، وبعد ساعات أعلنت القيادة العراقية أن الكويت هى إحدى المحافظات العراقية وأن الأمر هو مجرد مسألة داخلية بحتة !!

كان العراق قد ادعى قبل هذا اليوم عدة مرات أن الكويت يقوم باستغلال حقول النفط العراقى وذلك فى محاولة واضحة لجر الكويت إلى معركة كلامية لتكون ذريعة للاحتلال ، ولكن الكويت تذرع بالصبر وكانت هناك عدة محاولات لمعالجة الأمر بحكمة ، ولذلك كانت المفاجأة كاملة عندما تم احتلال الكويت ، وأدرك العالم أن صدام حسين قد بيّت النية على القيام بهذه الخطوة التى تميزت بالغدر والخسة .

وخلال بضعة أسابيع تدفقت أساطيل الولايات المتحدة ودول العالم إلى منطقة الخليج العربى تمهيداً للتدخل ضد القوات العراقية التى أصبحت تمثل تهديداً مباشراً لمنابع البترول فى الخليج العربي والسعودية ، وهى تمثل أهم مناطق الاحتياطيات البترولية فى العالم .

ورغم كل هذه القوات المحتشدة ورغم الاستعدادات الواضحة لمهاجمة العراق إلا أن صدام حسين رفض الانسحاب من الكويت وظل يعلن استعداده لملاقاة القوة بالقوة .

وفى يناير من عام ١٩٩١ هاجمت القوات المتحالفة بزعامة الولايات المتحدة القوات العراقية فى الكويت كما قامت بشن مئات الغارات بأحدث الطائرات فوق بغداد والمدن العراقية وألقت عشرات الأطنان

من القنابل وقذفت آلاف الصواريخ الحديثة ، بل أحدث مافى ترسانات الولايات المتحدة والدول الغربية .

وكانت النتيجة أن انسحبت القوات العراقية من الكويت بعد تعرضها لهزيمة ساحقة قتل فيها المئات واستسلم الآلاف ، كما تعرضت بغداد لدمار لم تشهده مدينة عربية من قبل ، وحتى الآن يتعرض العراق لحصار اقتصادى كامل منع عنه وصول أية واردات ، كما تعرض لإذلال شديد بمنع طائراته من التحليق فوق مناطق شاسعة من الحدود العراقية فى الشمال وفى الجنوب أيضاً ، وإذا ماانتهكت أى طائرة عراقية هذا الحظر فإنها تتعرض للقصف فوراً من الطائرات الأمريكية المتربصة .

وكانت من نتيجة هذه الحرب المدمرة انقسام العالم العربى على نفسه مابين مؤيد للعراق ومعارض له ، كما تمركزت القوات الأمريكية فى مياه الخليج العرب بصفة دائمة ، وعاد العراق إلى العصور الوسطى ومازال " صدام حسين " يتحدى ويدّعى أنه حقق أعظم الانتصارات فى أم المعارك !!



| الشخصيات | الصفحة |
| --- | --- |

| الشخصيات | الصفحة |
|---|---|



★ ★ ★

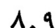
# هذا الكتاب

* تناول هذا الكتاب العديد من القادة والزعماء والأدباء والفنانين ، الذين لفتوا أنظار العالم بعجائب تفوق التصور والخيال .

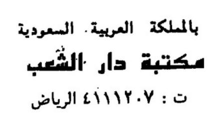
* وتلك متعة حقيقية أن يعيش القارئ مع هذه الشخصيات التى حيَّرت الأذهان بغريب صنعها وسلوكها ، حتى يشاركنا القارئ الكريم عجبنا وحيرتنا واستمتاعنا بمطالعة سير هؤلاء المشاهير .والله ولى التوفيق .

★ ★ ★

**النـاشـر**






مكتبة معروف

الإسكندرية : ٤٨١٠٨٢٨ / ٤٨٤٦١٢٥ فاكس
القاهرة : ٢٦١١٢٢٩ ص.ب ٣٧٠ الإسكندرية

e - mail : marouf- book @ hotmail . com